التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 163 السنة التاسعة عشر - يونيو 2021

فلسطين باقية

ليسدد الأغنيـــاء الضريبة! 16-18

تراجع التجربة البرلمانية .. من المسؤول؟ 22-23

أحمد طريقنا إلى السؤال الصعب 24-25

موقفنا

نحن وفلسطين

القضية العادلة للشعب الفلسطيني منغرسة في وجدان الشعب البحريني عبر عقود، منذ أن قام الصهاينة باحتلال الأرض الفلسطينية وشرّدوا شعبها من أراضيه، بدعم من الإمبريالية العالمية، والبريطانية منها بشكل خاص، فمنذ أربعينيات القرن العشرين، على الأقل، وشوارع المدن في البحرين شاهدة على المسيرات التضامنية مع شعب فلسطين وقضيته الوطنية.

وما أكثر الشبان البحرينيين الذين تطوعوا للقتال مع المقاومة الفلسطينية، ومنهم من استشهد في صفوفها، ومع كل هبة أو انتفاضة في الأراضي المحتلة، يخرج البحرينيون إلى الشوارع لإعلان تضامنهم مع فلسطين، ويقيموا الندوات والمهرجانات، ويجمعوا التبرعات، ويرسلوا الوفود التضامنية، بمن فيهم الأطباء الذين يذهبون للتطوع في علاج الجرحى جراء العدوان الصهيوني.

وكانت فلسطين الأرض والشعب، حاضرة في الأدب والفن البحرينيين، فعنها كتبت القصائد والقصص، وغُنيّت الأغنيات، والمثل الساطع هو ما قدّمته فرقة «أجراس» ومؤسسها الفنان التقدمي والوطني الراحل سلمان زيمان، حيث يشكل عدد الأغاني التي قدّمتها الفرقة عن فلسطين النسبة الأكبر بين الأغاني المشابهة في البلدان العربية، والكثير منها جرى انتقاء كلماتها من قصائد شعراء المقاومة الفلسطينية مثل توفيق زياد ومحمود درويش وسميح القاسم وغيرهم.

لذلك شكّل إعلان تطبيع العلاقات بين البحرين ودولة الكيان صدمة كبيرة لكل البحرينيين، الذين هالهم أن يروا بلدهم يقيم علاقات مع العدو ويتبادل معه السفراء، ويستقبل مسؤولين صهاينة على ارضه، حيث بدا ذلك استفزازاً وإهانة لمشاعرنا كبحرينيين، تربطنا بفلسطين وشعبها أقوى الأواصر، ولقت الخطوة استنكار وإدانة كافة الجمعيات والقوى السياسية والمجتمعية، ومؤسسات المجتمع المدني وكل أبناء وبنات شعبنا.

وعلى عهدهم، جدّد البحرينيون موقفهم الذي لا يحيدون عنه حين اندلعت، مؤخراً، هبة أهل مدينة القدس احتجاجاً على توجه قطعان المستوطنين، مدعومين من المؤسسة الصهيونية وأجهزة أمنها ومحاكمها، لمصادرة بيوت العائلات الفلسطينية في حي الشيخ جراح في المدينة، والتي أشعلت غضباً شعبياً في كامل فلسطين، في الأراضي المحتلة عام 1948، وفي الضفة الغربية، و قطاع غزة الذي واجه ببسالة، وعلى مدار 11 يوماً متواصلة القصف الصهيوني الهمجي بالصواريخ والطائرات والقذائف من البحر والجو والأرض، ما أوقع مئات القتلى والجرحى، غالبيتهم الساحقة من المدنيين، خاصة النساء والأطفال، وأحدث دماراً مريعاً.

أمس واليوم وغداً؛ سيظل البحرينيون رافضين للتطبيع مع العدو، مطالبين بوقفه، والعودة إلى الالتزام بمبادىء المبادرة العربية للسلام وبالحق الفلسطيني الشرعي.

التقدمي

بمناسبة الأول من مايو... احتفالية التقدمي:

تشوّهات سوق العمل ناجمة عن غياب رؤية حصيفة بمضامين اجتماعية

خليل يوسف

يحيى المخرق

رائدة علوان

صقر الحمادي

عبدالحميد القائد

نظمّ قطاع النقابات العمالية والمهنية في المنبر التقدمي في الأول من مايو الماضي حفلاً افتراضياً بمناسبة اليوم العالمي للعمال. وبدأ الحفل بوقفة صمت حداداً على أرواح شهداء الطبقة العاملة.

وفي بداية كلمته وجه أمين عام التقدمي خليل يوسف التحية والتقدير إلى عمال البحرين والطبقة العاملة والحركات النقابية أينما كانت، معتبراً بان هذه المناسبة الأممية فرصة للتضامن مع العمال في كفاحهم المشترك ضد صنوف الاستغلال والظلم والاضطهاد والتمييز العنصري وسعيها لتحقيق العدالة الاجتماعية. كما تقدّم الأمين العام بالتهنئة خاصة إلى عمال الشعب الفلسطيني الشقيق الذي يخوضون نضالاً جسوراً في وجه الاحتلال الاسرائيلي، ويجاهدون في سبيل عودة الحق الفلسطيني من المحتلين الصهاينة، وسندعم هذا الحق، وسنقف مع عمال وشعب البحرين ضد كل أشكال التطبيع مع العدو الصهيوني.

وشدّد الأمين العام كلمته على ضرورة: «الإرتقاء في التعامل مع الآثار الحالية والمتوقعة للجائحة على سوق العمل الى مستوى يلجم هذه الاثار والتحديات دون خيبات أمل تذكر»، مشيراً إلى أنه «رغم الخطط والبرامج التي اعلنت طيلة السنوات الماضية التي قيل بأنها تستهدف جعل البحريني الخيار الأول للتوظيف، ومنها الخطة الوطنية للتدريب واحلال الكوادر الوطنية، والخطة الوطنية لسوق العمل، والخطة الوطنية للتوظيف في نسختها الاولى التي انطلقت في عام 2019، الا ان هذه الخطط والبرامج لم تأخذ مداها المنشود الذى يلبى هدف البحرنة ويجعل البحريني فعلياً هو الخيار الأول والملزم في التوظيف». واعتبر الأمين العام بأنه: «إذا كانت النسخة الثانية من البرنامج الوطني للتوظيف الذى اعلن عنها مؤخراً وقيل بأنه يستهدف خلق 25 الف وظيفة وتدريب 10 الاف مواطن، فإنه لابد من العمل المدروس والخاضع للشفافية وللمراقبة والتقييم المحايد والجرأة في المراجعة والمتابعة الفعلية والمساءلة لضمان تحقيق الأهداف المرجوة منه في الحفاظ على زيادة معدلات توظيف البحرينيين، وتجنب المراوحات والاخفاقات في هذا الملف»

تدهور أحوال العمالة الوطنية

من جانبه، قال رئيس قطاع النقابات العمالية والمهنية بالتقدمي يحيى المخرق بأن: «جائحة كورونا جعلت العمال في البحرين وفي العالم يدفعون ضريبة تدهور الوضع الاقتصادي مما أدى إلى تسريحات من الأعمال وفرض ضغوط شتى على العمال تفاقمت مع عدم وضوح الرؤية ذات المضامين التي تأخذ في أولوياتها ضمان الاستقرار والأمن الاقتصادي والاجتماعي لحياة القطاع العريض من العمال والأسر البحرينية، لاسيما في ظل ما فرض علينا من اشتراطات من جانب البنك وصندوق النقد الدوليين وهو الأمر الذي سلب ما تحقق من مكاسب للفقراء والكادحين والمساس بمستوى معيشتهم جراء ما فرض من ضرائب ورسوم أثقلت كاهل العمال والطبقة المتوسطة».

وقال المخرق «إن على الجميع، أفراداً وجمعيات ونقابات واتحادات نقابية مسئولية كبيرة في مواصلة الضغط بهدف المحافظة على المكتسبات العمالية والوصول إلى حلول عادلة وأكثر فاعلية لإخراج التأمينات الاجتماعية من وضعها الراهن، ومن نفق العجز الإكتواري المظلم». داعياً: «إلى تكثيف الضغط على مجلس النواب لوضع ملف التأمينات الاجتماعية في صدارة الاهتمام الجدي والرفض الحازم للمشاريع التي تنتقص من الحقوق والمزايا التقاعدية لعمال».

مشاركة نقابتي الطيارين ومجموعة فولاذ

على صعيد متصل، قدّمت عضو مجلس إدارة نقابة مجموعة فولاذ رائدة علوان، تهنئة بالمناسبة وتحدثت في كلمة ألقتها في الحفل عن دور المرأة البحرينية ومشاركتها في كل الميادين، بما في ذلك في المجالين العمالي والنقابي.

وشاركت في الحفل أيضاً نقابة الطيارين البحرينية بكلمة ألقاها الطيار صقر الحمادي، بدأها بتهنئة لعمال البحرين، وتحدث عن قضايا المتقاعدين وضرورة الاهتمام بهم، داعياً إلى عدم تحميلهم الأخطاء السابقة والتراجعات التي حدثت في الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، مؤكداً على ضرورة وحدة العمل النقابي من أجل تحقيق المطالب العمالية المستحقة.

خاتمة شعرية

وفي ختام الحفل ألقى الشاعرعبد الحميد القائد قصائد شعرية رائعة مستوحاة من المناسبة، وأقيم الحفل في مقر التقدمي وأداره الرفيق هشام رشدان، وبثّته مباشرة قناة التقدمي على «يوتيوب».

خلال ندوة للتقدمي...مشاركون:

النظام الانتخابي سبب تراجع الحياة النيابية وأطراف تعمق تراجع التجربة

أرجع القانوني المخضرم عضو المنبر التقدمي حسن إسماعيل السبب وراء تقليص صلاحيات مجلس النواب إلى: «النظام الانتخابي الذي أوجد نواباً يوافقون على تعديلات للقانون الذي ينظم عملهم تنال وتنقص من دورهم في الرقابة على أعمال الحكومة، وهو الذي أوجد نوابا يمتنعون أو يتغيبون منعا من الحرج ما بين الحكومة، وهموم الناخبين اللذين انتخبوهم». مشدداً على أن:" النظام الانتخابي سبب تراجع الحياة النيابية في البحرين».

واعتبر إسماعيل في ندوة للتقدمي بعنوان (تراجع التجربة البرلمانية، من المسؤول؟) بأن: «هناك ثمة إشكالية في الطريقة التي صدر بها دستور 2002 خلافا لمبادئ ميثاق العمل الوطني وفي بعض النصوص التي نص عليها وهي عديدة وبينها المنبر التقدمي في وثيقة الإصلاح الدستوري التي اشتملت على أبرز المواد الدستورية التي يتعين تعديلها وشابها عيوب كشفت عنها تجربة الفصل التشريعي الأول»، مضيفاً:" العلة الأكبر والاشكالية الأكبر هي في التشريعات التي صدرت طبقاً لإحكام هذا الدستور ومذكرته التفسيرية والتعديلات التي تمت عليه، سواء كانت هذه التشريعات صدرت بأداة القانون، أو بمرسوم بقانون، او بمرسوم، إذ جاءت معظم هذه التشريعات تنقص من الحقوق والحريات ونالت منها»، منوهاً إلى أن:" أبرز هذه التشريعات هي تلك المتعلقة بالنظام الانتخابي والتي تعتبر أسباب أخرى رئيسة لهذا التراجع في التجربة النيابية في البحرين».

وشدد إسماعيل على أن:" النظام الانتخابي الحالي هو الذي اسقط الكفاءات أو جعلها تقاطع أو تمتنع عن المشاركة في التجربة البرلمانية، كفاءات وطنية تجمع بين القانون والسياسية، تجمع بين السياسية والاقتصاد، تجمع بين السياسية والثقافة، يعج بها مجتمع البحرين يشهد بها الداني والقاصي داخل وخارج البحرين»، منوهاً:" حين نقول كفاءة وطنية لا نعني أن تعبر عن حبها للبحرين وقيادتها السياسية فحسب بل وطنية بمعنى تلك التي لا تسعى كلما سنحت الفرصة لها بمدح وتبجيل صناع القرار بل هي تلك التي تنشد إصلاحاً

حقيقياً بمعالجة وانتقاد كل ما يعيق الإصلاح من فساد ومفسدين، تنشد العدالة الاجتماعية للمواطنين في العمل، في الصحة والتعليم والسكن وعند التقاعد. والتمتع بكافة حقوقهم السياسية دون انتقاص". لافتاً إلى أن:" النظام الانتخابي جعل من الإقامة العادية سيفا مسلطاً على الكثير من المترشحين أصحاب الكفاءة وجعل من الشرطة رقيباً على المرشح لمعرفة أين ينام في مسقط رأسه أم في مكان أقامته العادية».

اجهاض استجواب «تقدّم»

من جانبه، أشار عضو كلته تقدم البرلمانية النائب الأول لرئيس المجلس عبد النبي سلمان إلى أن: «هناك تراجعاً ملحوظاً في التجربة البرلمانية منذ المشاركة في 2002 حتى مشاركتنا في 2018"، معتبراً بأنه: «لا يوجد تطور على التجربة البرلمانية، التراجع بشكل واضح بدأ في عام 2014 عندما قلص اعضاء مجلس النواب آنذاك " الاستجواب " من 5 اعضاء يتقدمون بالاستجواب إلى 27 عضواً، أي تم تعديل اللائحة الداخلية».

وأوضح سلمان بأن: «الاستجواب في صورته الحالية صعب، مشيراً إلى أن: «كتلة تقدم حاولت تقديم استجواب إلا إنها لم توفق في توفير العدد الكافي من النواب"، كما أشار إلى أن: «مرسوم تعديل أداة المناقشة العامة ليس مقترحاً من النواب بل جاء كمشروع تعديل حكومي"، ونصّ على عدم توجيه اللوم إلى الوزراء والمسؤولين في الدولة، في المناقشة العامة، ما يعني الحيلولة بين النواب وتوجيه النقد إلى الوزراء والمسؤولين في الحكومة».

وقال سلمان: "نحن في " كتلة تقدم " رفضنا المرسوم، والتعديلات التي ادخلت، تعديل سقف المناقشة العامة وتحديداً فقط 10 من النواب في الوقت الذي كان يحق لكل النواب الأربعين المناقشة، والتعديل الثاني تحديد الوقت أي خمس دقائق للمداخلة، فيما كان سابقاً 15 دقيقة».

وشدد سلمان على أ»ضرورة محاسبة النواب من قبل الشعب، لأن النائب منتخب من الشعب، وإذا قصر في أدائه وجبت محاسبته، وعلى الناخب أن يختار الأفضل والأكفأ في الانتخابات القادمة، لأن انتخاب شخصيات غير كفؤة سوف يعيق عمل مجلس النواب ولا يطوره».

تحجيم العمل السياسي

على الصعيد ذاته، قال الأمين العام للتجمع القومي عبدالصمد النشابة بأن: «تجربتنا البرلمانية ولدت وهي تحمل في احشاءها نقاط ضعف متجذرة لا يمكن أن تقود إلى الديمقراطيات العريقة التي وعد بها ميثاق العمل الوطني، بل أسهمت في تراجع تجربة البرلمان لتصل إلى ما وصلت إليه اليوم".

وأضاف: «شهدنا، وخاصة بعد أحداث العام 2011 نهجاً متواصلاً لتحجيم وتهميش العمل السياسي في البحرين، وبالذات من خلال إضعاف الجمعيات السياسية وإخراجها من دائرة الفعل السياسي المؤثر بعد أن تمّ حل عدد منها، وتهميش دور البقية»، وتابع:» تزامن وأعقب ذلك ما شهدناه في انتخابات عام 2014 و2018 من إجراءات استهدفت إخراج كافة الجمعيات السياسية وقياداتها السياسية من لعبة الانتخابات حيث تمّ حرمان أعضاء الجمعيات السياسية المنحلة من حق الترشح».

واعتبر النشابة بأنه: «في الوقت الذي نتلمس بصورة بالغة الحاجة الملحة والضرورية للإرتقاء بأداء البرلمان وتوسيع صلاحياته التشريعية، نرى مسيرة التراجعات من خلال البحث عن مخارج للأزمة السياسية الراهنة التي تستفحل منذ العام 2011 دون حلول وطنية شاملة لها"، ودعا إلى «تجاوز الأسباب التي أدت إلى تفجر الأحداث قبل عشر سنوات، كما أدت إلى تراجع الوحدة الوطنية التي جسدها ميثاق العمل الوطني، كما أدت أيضا إلى تراجع التجربة البرلمانية، مما يقتضي إعادة صياغة واقع سياسي واجتماعي أكثر عدلاً وتوازناً من الناحية السياسية والاجتماعية والتوافق حول صيغ المشاركة في صنع القرار».

"كورونا" رفعت أعداد العاطلين

قالت وزارة العمل بأن جائحة كورونا (كوفيد – 19) أدت إلى تباطؤ عمليات التوظيف في البحرين مما أدى إلى ارتفاع أعداد العاطلين المسجلين بالوزارة، ويعود ذلك لأسباب تتعلق بتردد أصحاب العمل أو الباحثين عن عمل في عملية التوظيف بسبب المخاوف الصحية، ومن جانب آخر فقد أدى قيام الوزارة بتدشين الأنظمة الإلكترونية إلى زيادة أعداد المسجلين الجدد من الباحثين عن عمل بسبب تسهيل عمليه التسجيل وربطها بهيئة المعلومات والحكومة الإلكترونية.

ونوهت الوزارة إلى إحالة العمال البحرينيين إلى التقاعد المبكر بدل تسريحهم في حالة توفر شروط التقاعد فيهم ورغبتهم في ذلك أو إلى فروع أخرى للشركة، وإدماج العمالة الوطنية في مشاريع دعم الأجور المتاحة إن أمكن ذلك بالتنسيق مع صندوق العمل «تمكين»، والمعالجات بعد عملية التسريح إن حدث.

«**الوطن**» - 1 **مايو** 2021

في تعديل اقترحته كتلة «تقدّم»
الأفضلية للبحريني في القطاع الخاص بحكم القانون

أحالت الحكومة إلى مجلس النواب تعديلاً على قانون العمل في القطاع الأهلي يعطي الأفضلية في القطاع الخاص للعاطلين عن العمل من المواطنين. وجاء في مشروع التعديل الحكومي المعدّ بناء على اقتراح كتلة «تقدم» البرلمانية، باضافة مادة جديدة تنص على التالي: «مراعاة أحكام هذا القانون، ويجب على كل صاحب عمل الرجوع إلى الوزارة ومراجعة الكشوف الخاصة بالباحثين عن العمل، وعليه أن يراعي عند توظيف أي عامل وجوب منح الأفضلية للبحريني أولاً متى ما وجد وكان صالحاً لأداء العمل الخاص الذي يستخدم فيه. ولم يكتف التعديل بذلك، بل حذّر مخالفي القانون من عقوبة تصل غرامتها إلى 20 ألف دينار على صاحب العمل المخالف. وبينت المادة المقترحة من قبل كتلة تقدم بأنه:» يعاقب بالغرامة التي لا تقل عن 5 آلاف دينار ولا تزيد عن 20 ألف دينار كل صاحب عمل أو من يمثله خالف حكم المادة 9 مكرراً من هذا القانون».

فيما ذهبت الحكومة إلى عدم دستورية مشروع القانون فيما تضمنه من معاقبة صاحب العمل جنائياً، حال مخالفته نص المادة 9 مكرراً وحرية التعاقد من قبيل الحريات الشخصية التي كفلها الدستور بحكم المادة 31، وتشير إلى أن عقد العمل من العقود الرضائية التي تتجلى فيها حرية التعاقد بين صاحب العمل والعامل، ويتعهد العامل بمقتضاه بأن يؤدي عملاً معيناً لصاحب العمل تحت إدارته أو إشرافه لقاء أجر، ويعتبر العقد محدد المدة إذا أبرم لمدة محددة أو لإنجاز عمل معين».

«**الوطن**» - 5 **مايو** 2021

إلزام معهد تدريب بسداد 23 ألف دينارا رواتب متأخرة للمدير

قضت المحكمة الكبرى العمالية بإلزام معهد تدريب بسداد 23 ألف دينار لمدير المعهد وذلك قيمة رواتب ومستحقات مالية متأخرة، والفائدة بنسبة 6 ٪ عن تأخر صرف الراتب مدة 6 أشهر وإعطائه شهادة نهاية الخدمة والمصروفات، حيث لجأ المدعي للمحكمة بعد أن تم وقفه عن العمل بسبب مطالبته برواتبه المتأخرة، حيث ادعت إدارة المعهد أن وقفه بسبب مخالفات ارتكبها إلا أن الإدارة لم تثبت دعواها.

وقال المحامي عبدالله السليمان إن موكله التحق بالعمل لدى المعهد كمدير له وبراتب شهري بمبلغ قدره 2000 دينار شهرياً، وذلك في أبريل 2019 إلا انه في 30 سبتمبر 2020 تم فصله من العمل بعد ان طالب براتبه الذي امتنع المعهد عن سداده مدة 12 شهراً، الأمر الذي اضطره الى اللجوء إلى القضاء للمطالبة بحقوقه العمالية.

«**خبار الخليج**» - 7 **مايو** 2021

«تمكين» سبب توقف مرصد سوق العمل

كشفت وزارة العمل عن أن السبب وراء عدم استكمال العمل بالمرصد الوطني لسوق العمل الذي أعلن عنه في نوفمبر 2014، يعود إلى صدور المرسوم رقم 33 لسنة 2015 بشأن نقل اختصاصات المجلس الأعلى للتدريب المهني إلى صندوق العمل «تمكين» في أكتوبر 2015. وبينت الوزارة بأنه بصدور المرسوم بنقل صلاحيات المجلس الاعلى للتدريب المهني إلى «تمكين» أصبحت الأخيرة مسؤولة عن المشروع سواء تمويلاً أو إدارة.

«**أخبار الخليج**» - 3 **مايو** 2021

رحيل المناضل النقابي عبدعلي الخياط

ينعى المنبر التقدمي المناضل النقابي عبدعلي الخياط أحد أبرز مؤسسي نقابة العاملين في شركة «بابكو»، ومن كوادرها المهمة، لروحه الرحمة والسلام، ولعائلته ومحبيه وزملائه صادق المواساة، وستظل ذكراه حاضرة في نفوس كل من عرفه وعمل معه.

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

إطلاق منصة مهارات التوظيف خلال أسابيع

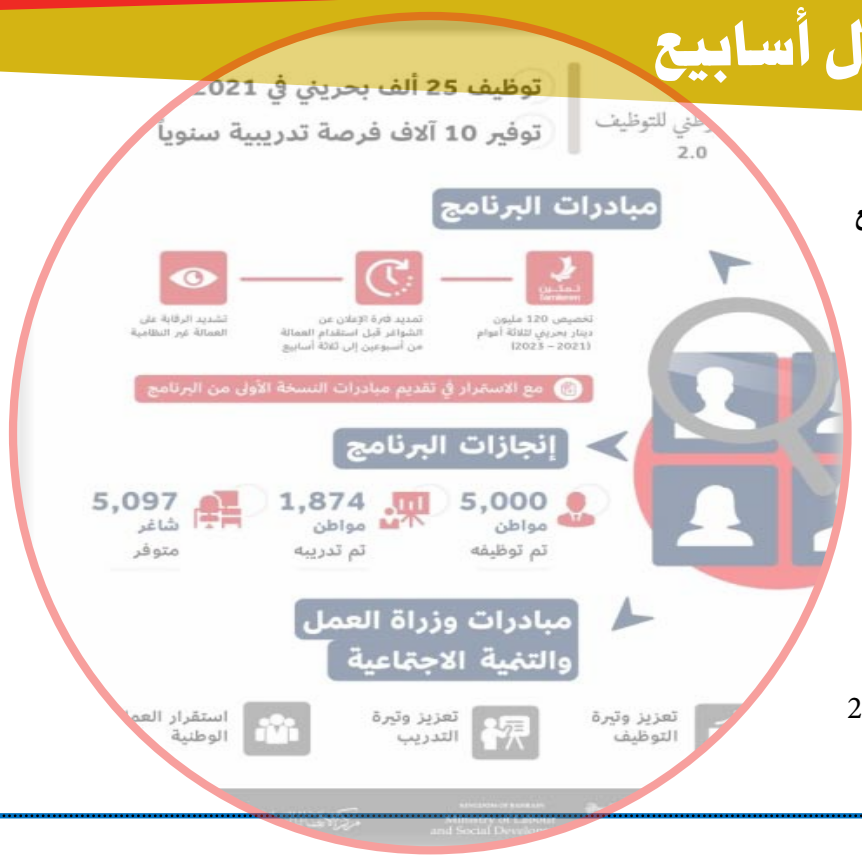

كشف وزير العمل عن قرب اطلاق منصة مهارات التوظيف، بالتعاون مع القطاعين العام والخاص، مبيناً بأن المنصة عبارة عن منظومة إلكترونية تعمل على تقديم بيانات شاملة ومتكاملة لأهم المهارات والوظائف التي يتطلبها سوق العمل لتساعد في رسم السياسات المستقبلية للمؤسسات الحكومية ومؤسسات التعليم العالي، وكذلك تطوير مخرجات التعليم بما يخدم احتياجات سوق العمل وتعتبر الوزارة شريكا أساسيا في إطلاق المنصة وتغذيتها والمؤشرات المطلوبة.

وأوضح أن العمل جارٍ على توقيع مذكرة تفاهم بين الوزارة وهيئة المعلومات والحكومة الالكترونية لوضع آليات التنسيق بين الجهتين وقد تم بالفعل عقد اجتماعات تنسيقية لتنظيم آلية تبادل المعلومات بين الوزارة وهيئة المعلومات والحكومة الالكترونية، حيث من المتوقع الانتهاء من المنصة وإطلاقها في منتصف العام الحالي.

«**أخبار الخليج**» - 3 **مايو** 2021

نواب يتضامنون مع القدس:

ما تشهده الأراضي الفلسطينية هدفه تعزيز الاستيطان غير الشرعي

أكد أعضاء في مجلس النواب تضامنهم ووقوفهم التام إلى جانب المطالب الفلسطينية العادلة، والرافضة لممارسات الاحتلال الإسرائيلي في عموم الأراضي الفلسطينية المحتلة، وعلى وجه التحديد ما تشهده مدينة القدس وحي الشيخ جراح من اعتداءات اسرائيلية ممنهجة، يقوم بها جيش الاحتلال، وبمساندة وحشية من قبل حشود المستوطنين.

جاء ذلك في بيان أصدره نواب كتلة "تقدّم" الثلاثة، عبد النبي سلمان، سيد فلاح هاشم، يوسف زين العابدين، بالإضافة إلى النواب عمار سامي قمبر، ممدوح الصالح، محمود البحراني، أدانوا فيه على أن: «ما تشهده الأراضي الفلسطينية من عمليات اقتلاع وتشريد وتهجير قسري غير شرعي للمواطنين الفلسطينيين من أراضيهم وبيوتهم وأماكن عباداتهم، ضمن عمليات ممنهجة تهدف منها سلطات الكيان الصهيوني إلى تعزيز نفوذها الاستيطاني باتجاه عملية تهويد كاملة للقدس، وفي تعارض تام مع القانون الدولي وجملة القرارات الأممية ذات الصلة، ومن بينها القرار 242، مستفيدة من حالة تردي الوضع العربي على المستوى الرسمي، وانشغال الشعوب العربية بقضاياها الوطنية وهمومها المعيشية، إضافة إلى ما يشهده العالم جراء جائحة كورونا، لفرض سياساتها الاستيطانية الغاشمة".

في ندوة وبيان بمناسبة الأول من مايو

«تقدّم» تؤكد على أولوية المطالب العمالية

بمناسبة الأول من مايو عيد العمال العالمي نظمّت كتلة «تقدم» ندوة افتراضية شارك فيها مجموعة من النواب والنقابيين والمهتمين بالشأن العمالي لتقديم رسائل تهنئة للطبقة العاملة وللتضامن مع الحركة النقابية فيما تواجهه من تحديات في نضالها اليومي ودفاعها عن حقوق العمال.

وبالمناسبة نفسها أصدرت "تقدّم" بياناً توجهت فيه بأحر التهاني لعمال البحرين، ومن خلالهم إلى جميع عمال العالم، ومؤكدة على دعمها للعمال، والثقة بقدراتهم وعزيمتهم في بناء البلد وتقدّمه، ووقوفها مع مطالبهم المشروعة بضرورة تأمين فرص وظروف عمل لائقة، وتحقيق مقومات الحياة الكريمة لجميع المواطنين. فهم عماد بناء البلد وازدهاره، كما وجهت الشكر لجميع أفراد الصفوف الأمامية في مجال الصحة ومكافحة فيروس كورونا، على إنجازاتهم اللامحدودة في جميع المواقع، والذين شهد لهم الجميع بهذا العطاء.

وعبرتّ "تقدّم" عن مواصلة سعيها لتقديم كل ما يمكنها من أجل معالجة التحديات التي تواجه عمالنا، وفي مقدمتها ملفي البطالة وتداعياتها، والتأمينات الاجتماعية، ومشيرة إلى تبنيها الدائم لملف البطالة داخل مجلس النواب، خاصة العاطلين من خريجي الجامعات، حيث لازال عشرات الآلاف من البحرينيين؛ إما عاطلين عن العمل، أو في وظائف لا تتناسب مع مؤهلاتهم وخبراتهم، مما يجلعهم في خانة الطاقات المعطلة، ويوجب على الدولة أن تعمل على توظيفهم بما يليق بمؤهلاتهم وخبراتهم.

اتفاق على توظيف متطوعي كورونا

أسفر اجتماع عدد من النواب من ضمنهم عضو كتلة تقدم فلاح هاشم مع وزيرة الصحة فائقة الصالح عن اتفاق لتوظيف جميع المتطوعين من الكادر التمريضي والطبي.

وكشف النواب أن الوزارة أكدّت لهم السعي الحثيث لإحلال الكوادر البحرينية مكان الأجانب العاملة في التخصصات الدقيقة والنادرة كالعناية المركزة، من خلال التعاون مع كلية العلوم الصحية والجامعات الطبية في البحرين لتقديم برامج مُتخصصة في التمريض.

وأشار النواب في بيان مشترك بأنهم قد طرحوا ملف توظيف جميع المتطوعين الذين ضحوا بأرواحهم وانفسهم بالعمل في الصفوف الامامية المواجهة لفيروس كورونا، وأن الوزيرة أفادت بأنها بصدد توظيفهم بدءاً من المرضين، حيث دعت جميع المرضين لإنهاء اجراءات ومتطلبات التوظيف لدى ديوان الخدمة المدنية ومراجعة الوزارة لتوظيفهم مشيرة الى حاجتهم الماسة للمرضين خصوصاً مع تشغيل عدد من المراكز الصحية 24 ساعة.

وأثنى النواب على التجاوب السريع لوزيرة الصحة واهتمامها بضمّ من ضحوا بأرواحهم وأنفسهم بالعمل في الصفوف الأمامية المُواجهة لجائحة كورونا، حاثين كافة المتخرجين بضرورة التواصل مع الوزارة من أجل التوظيف الفوري، مشيرين إلى أن هنالك اتفاقا مع ديوان الخدمة المدنية في هذا الصدد.

وأكد النواب بأن بقية المُتطوعين من التخصصات الأخرى (غير الطبية) سيتم رفع توصية للحكومة بتوظيفهم، وأشاروا إلى أنه سيتم صرف مُكافأة للمُتطوعين الآخرين في العمل مع الملائكة البيضاء من الحاملين للتخصصات غير الطبية تقديرًا لجهودهم.

زينل يدعو لمعالجة حقيقية لتشوّهات سوق العمل

دعا النائب يوسف زينل كافة الجهات الحكومية وعلى رأسها وزارة العمل والتنمية الاجتماعية إلى القيام بمعالجة حقيقية لتشوهات سوق العمل المحلي، مؤكداً على ما يعانيه سوق العمل من تشوهات تمثلت في: «الهيمنة الأجنبية على حجم التمثيل العمالي في القطاع الخاص، واستمرار وجود الآلاف منهم في القطاع العام، في الوقت الذي تستمر فيه بطالة آلاف الشباب البحريني من حملة المؤهل الجامعي، الأمر الذي يشكل انقلاباً في المعادلة وتعبيراً عن خلل بسلبيات اجتماعية واقتصادية عدة، بينها مزاحمة ابن البلد في الفرص الوظيفية المتاحة وزيادة حجم التحويلات المالية للخارج والتأثير سلباً من خلال ذلك على حجم السيولة داخل البلد والقدرة الشرائية لعموم السكان».

مشيراً إلى أنه: «مازالت البطالة في البحرين مؤنثة، وهو ما تؤكده إحصائيات وزارة العمل الأخيرة، ويمثل انتقاصاً من إمكانيات المرأة البحرينية وريادتها البارزة على أكثر من صعيد وفي أكثر من قطاع»، وتابع: «إذا انتقلنا لمسألة الأجور وجهد (تمكين) في هذا الصدد، ستتبين لنا الحاجة لوضع حلول دائمة لبرامج دعم الأجور تحديداً الجانب المتصل بضمان استقرار العمالة الوطنية في وظائفها، وعدم رهن ذلك بالدعم المؤقت».

وبشأن النسب الواقعية للبطالة، نوّه زينل إلى التباين الكبير فيما تطرحه وزارة العمل من جهة وما انتهى إليه الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين مؤخراً من التأكيد على أن النسبة في صفوف الشباب تتراوح بين 10٪ إلى 20٪.

نظراً لتزايد إصابات كورونا
زينل يدعو الجميع لـوقفة مراجعة قبل فوات الأوان

عبّر النائب يوسف زينل عن بالغ أسفه للمستويات غير المسبوقة التي بلغتها أعداد الإصابات الجديدة بفيروس كورونا في مملكة البحرين، الأمر الذي تسبب في ارتفاع قياسي لأعداد الحالات القائمة والوفيات. منوهاً بأن: «ذلك يأتي مخالفاً للتوقعات التي سادت قبل نهاية العام الماضي، والذي شهد تراجعاً كبيراً في أعداد الحالات القائمة حتى بلغت أقل من 1500 حالة مع نهاية نوفمبر 2020، فيما كانت أعداد الوفيات تتراجع هي الأخرى لتبلغ 11 حالة في ديسمبر من العام ذاته».

واستدرك: «غير أننا ومع دخول العام 2021، ودون وضوح تام في الأسباب، بدأنا نشهد عودة مؤشر الاصابات الجديدة والوفيات للارتفاع مجدداً، لتصل إلى رقم قياسي مع نهاية أبريل ومايو الماضيين". ودعا زينل كافة الأطراف من الفريق الوطني الطبي والمجتمع إلى التوقف والعمل على مراجعة شاملة لجميع الاجراءات والقرارات والسلوكيات، منعاً لتفاقم الوضع والتأثير سلباً على النظام الصحي في المملكة وقدرته على القيام بوظائفه الحيوية واستيعاب الإصابات الجديدة والحالات القائمة.

كما جدد زينل دعوته لخلق شراكة حقيقية بين مختلف الأطراف في صنع القرارات المرتبطة بمكافحة الفيروس، وصياغة موقف رسمي شعبي أكثر انسجاماً وقدرة على تدعيم الالتزام الكامل بالاحترازات، لافتاً في هذا الصدد إلى حاجة القوى المجتمعية بالقيام بدورها في بث رسائل التوعية والتأكيد على ضرورة التزام الفرد بالتعليمات الصادرة حماية للمجموع.

مطالبة بتشكيل تحقيق في الكهرباء والماء

تقدّم النائب يوسف زينل بطلب تشكيل لجنة تحقيق نيابية في شؤون الكهرباء والماء والدعم والاستهلاك الحكومي لها، وتضمن طلب تشكيل لجنة التحقيق 13 محوراً، مشيراً في تصريح لـ «أخبار الخليج» إلى أن من أبرز تلك المحاور التحقيق في الوضع المالي لهيئة الكهرباء والماء ومدى حاجتها إلى الدعم الحكومي، والتحقيق في جميع إيرادات ومصروفات هيئة الكهرباء والماء والدعم الحكومي المقدم من قبلها للمشتركين وخاصة الدعم الحكومي المقدم من قبلها للوزارات والهيئات والجهات الحكومية. والتحقيق في كفاءة تحصيل هيئة الكهرباء والماء أموالها وأموال الجهات الأخرى، وطرق التحصيل التي تتبعها ومقدار كلفتها، وطريقة توزيع الأموال المحصلة بين مختلف الجهات، والتحقيق في حجم متأخرات المشتركين لدى هيئة الكرباء والماء وطرق تسويتها ومقدار ما سوي منها والإجراءات المتخذة فيما يختص بمتأخرات المتوفين.

في ندوة بجمعية الصمّ

هاشم: نطالب بتشريعات تضمن حقوق ذوي الحاجات الخاصة

ضمن فعاليات أسبوع الأصم العربي 46 والذي نظمته جمعية الصم البحرينية في الفترة من 20 –27 أبريل تحت شعار «معالجة البطالة لدى الصم». تم إستضافة النائب سيد فلاح هاشم في ندوة حول القوانين والتشريعات المتعلقة بتشغيل ذوي الحاجات الخاصة في البحرين، تحدث فيها عن التشريعات المتعلقة بفئة الصم والحاجة لتطويرها وسن تشريعات جديدة بما يتوافق مع احتياجاتهم وخصوصاً في مجال التدريب والتأهيل المهني والتوظيف، وتوفير الترجمة الإشارية في مجال الرعاية الصحية والتعليم العالي ومختلف الخدمات الحكومية والحياة العامة

السفير طه عبدالقادري

عبدالله الحويحي

بدرية المرزوق

بدرية علي

بمناسبة الذكرى الـ ٧٣ للنكبة

الجمعيات السياسية تحيي باعتزاز انتفاضة الأقصى وتطالب بإلغاء اتفاقية التطبيع

أقامت تنسيقية الجمعيات السياسية في مملكة البحرين مهرجاناً خطابياً ووقفة تضامنية في الذكرى ال ٧٣ لنكبة فلسطين بمقر تجمع الوحدة الوطنية، وذلك بمشاركة سفير دولة فلسطين لدى مملكة البحرين سعادة طه عبد القادري وقيادات الجمعيات السياسية.

وقدّم المهندس عبد الله الحويحي رئيس تجمع الوحدة الوطنية بيان الجمعيات السياسية في البحرين (التجمع القومي الديمقراطي، المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، الوسط العربي الإسلام، الصف الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري والتجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي) في المهرجان الخطابي والوقفة التضامنية بمناسبة ذكرى النكبة والذي حيا باعتزاز انتفاضة الأقصى مطالباً بإلغاء اتفاقية التطبيع مع الكيان الصهيوني.

وقال البيان: "تمرّ هذه الذكرى الأليمة، ومشهد الصراع الفلسطيني الصهيوني يتكرر وببشاعة أكبر في ساحات الأقصى والحرم المقدس وحي الشيخ جراح ومدينة القدس، وفي غزة ورام الله وكافة المدن الفلسطينية، فيما قوات الاحتلال ومعها قطعان المستوطنين تقوم باستباحة حرم الأقصى والاعتداء على المصلين الآمنين مما تسبب في سقوط العشرات من الشهداء والمئات من الجرحى، وترتكب جرائم التطهير العرقي من خلال التهجير القسري وإخلاء 28 منزلاً يقطنها 500 مواطن فلسطيني في حي الشيخ جراح في مدينة القدس المحتلة تمهيداً لإقامة وحدات استيطانية

محمد المساعد

صهيونية".

من جانبه، أثنى سفير دولة فلسطين طه عبد القادري في كلمته على شعب البحرين ووصفه بأنه شعب أصيل، وعريق، وقال نحن نحفظ له كل المواقف القومية، حيث لم نلق منكم إلا كل تأييد وها أنتم اليوم تكرسون ذلك، وهذا الشعب لا يمكن له أن يتخلى عن هذه العراقة والأصالة.

وقال السفير الفلسطيني إن اختيار

حسن بديوي

الوقوف مع الحق الفلسطيني هو حماية للهوية الوطنية البحرينية وحماية للهوية العربية الإسلامية لهذه المنطقة ولهذا الشعب، وحماية للمقدسات الإسلامية والإسلامية وحماية أولاً وقبل كل شيء للمسجد الأقصى، والقدس درة التاج.

وقال إن العدو الإسرائيلي هو عدو للمنطقة، وهو أحد أهم أسباب تأخرها وتفككها ومحاصرتها، وهو أحد أهم أسباب الاضطراب والفوضى فيها، والوقوف مع الشعب الفلسطيني في نضاله ضد هذا العدو هو وقوف ودعم لصمود كل شعب عربي على حدة، ولقاءكم هذا يؤكد على صدق مواقفكم مؤكدا ان الشعب الفلسطيني يجسد اليوم بصموده، صورة لنضالات الأمة عبر الزمان، من خلال الدفاع عن المقدسات، وكذلك الأمر سيبقى ثابتاً في أرضه، ولن يرحل، ولن يرفع الراية البيضاء، ويراهن من خلالكم على عمقه العربي والإسلامي.

إلى ذلك، القيت كلمات لمؤسسات المجتمع المدني بينها الاتحاد النسائي البحريني ألقتها رئيسته بدرية المرزوق، والجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع ألقتها بدرية علي، وجمعية المحامين ألقاها رئيسها المحامي حسن بديوي، وكلمة الإتحاد العام لنقابات عمال البحرين ألقاها محمد المساعد، حيث عبر الجميع عن استنكارهم وشجبهم لجريمة تهجير أهالي الشيخ جراح على أيدي المحتل، وطالبوا بإلغاء اتفاقية السلام التي تمّ توقيعها مع الكيان الصهيوني وإنهاء كل أشكال العلاقات معه.

كما ألقى النائب محمد النفيعي عبر تطبيق "زووم" كلمة اللجنة البرلمانية الدائمة لنصرة الشعب الفلسطيني، وألقت الشاعرة هنادي الهاجري قصيدة بالمناسبة.

"التقدمي" مستنكراً جرائم الاحتلال الاسرائيلي:

وصمة عار في جبين النظام العالمي

استنكر المنبر التقدمي بشدة الجرائم التي ترتكبها قوات الاحتلال الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية المحتلة، مشدد على أن: «ما يحدث من خطط توسع استيطانية في القدس والأراضي العربية المحتلة على مرأى ومسمع من كل العالم لهو وصمة عار في جبين النظام العالمي بشكل عام والدول العظمى بشكل خاص».

ودعا التقدمي إلى وضع حدّ للانتهاكات العنيفة التي ترتكبها قوات الاحتلال بسياساتها الاستعمارية والعنصرية الفجة، وإلى وقف فوري لاقتحامات القوات الإسرائيلية باحات المسجد الأقصى، ولما تقوم به من صدامات عنصرية دامية في حي الشيخ جرّاح وباب العمود في القدس لإجلاء السكان الفلسطينيين من مساكنهم وممتلكاتهم عنوة في إطار ما يخطط له الاحتلال في الفترة المقبلة للقدس والمسجد الأقصى.

وانطلاقاً من واجب التضامن الكامل والدائم مع فلسطين وشعبها الشقيق، دعا «التقدمي» إلى مواقف عربية ودولية حازمة لهذا التحدي الإسرائيلي السافر لمشاعر العرب والمسلمين في العالم، وللحقوق الفلسطينية الثابتة، ولكل ما يتنافى مع أبسط قواعد حقوق الإنسان، مؤكداً «بأن شعب البحرين كان ولازال وسيبقى داعماً للشعب الفلسطيني، ومواقفه ثابتة ومبدئية من قضية هذا الشعب العادلة، والرافضة للإرهاب الإسرائيلي، ولكل السياسات والتوجهات الرامية إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني».

ناشطون فلسطينيون يحتفون بالفنان البحريني خالد الهاشمي

في ذروة هبة القدس الأخيرة والعدوان الصهيوني على قطاع غزة، صمم ناشطون فلسطينيون هذا المنشور، الذي يتضمن رسماً لفنان الكاريكاتير البحريني البارز خالد الهاشمي، تحية له ولمجمل رسوماته المناصرة للشعب الفلسطيني ولنضاله من أجل حقوقه، وقد جرى تداول هذا المنشور على نطاق واسع داخل فلسطين وخارجها.

جمعيتا «المحامين» و«مناهضة التطبيع» تنظمان وقفتي تضامن مع فلسطين

نظمّت كل من جمعية المحامين والجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني وقفتي تضامن مع نضال الشعب الفلسطيني وصموده، وتنديداً بالعدوان الصهيوني على قطاع غزة وعلى القدس وكل المدن الفلسطينية وذلك في العشرين من الشهر الماضي، وبسبب الاشتراطات الرسمية اقتصرت الوقفتان اللتان جريتا أمام مقري الجمعيتين على أعضاءهما، ورفع المشاركون الأعلام الفلسطينية واتشحوا بالكوفيات التي ترمز للهوية الوطنية الفلسطينية وذلك في العشرين من الشهر الماضي. كما نددت مؤسسات أخرى من مؤسسات المجتمع المدني البحريني بالعدوان الصهيوني في بيانات ومواقف أصدرتها بهذا الخصوص.

فضفضة

درّة التاج

عيسى الدرازي

الهبة الشعبية التي حدثت إثر اعتداءات المستوطنين على أخوتنا في الاراضي المحتلة الفلسطينية، دلالة لا تقبل الشك عن مدى التصاق القضية الفلسطينية في وجدان هذا الشعب، وكل ما أعقب توقيع اتفاقيات التطبيع من تصفيق وتهليل لا يعدو كونه ريشة في مهب ريح مناصرة القضية الأم.

في وقفة تضامنية نظمّتها جمعيات سياسية بمناسبة الذكرى الـ 73 للنكبة، قال السفير الفلسطيني في البحرين بأن: «اختيار الوقوف مع الحق الفلسطيني هو حماية للهوية الوطنية البحرينية وحماية للهوية العربية لهذه المنطقة ولهذا الشعب، وحماية للمقدسات الإسلامية والمسيحية وحماية أولاً وقبل كل شيء للمسجد الأقصى، والقدس درّة التاج".

وتعبيراً عن تقدير الفلسطينيين لمواقف شعبنا البحريني، وصف السفير هذا الشعب بأنه: «شعب أصيل، وعريق"، مشيراً إلى أن الشعب الفلسطيني يحفظ للبحرينيين كل المواقف القومية، وقال صراحة: «لم نلق منكم إلا كل تأييد، وها أنتم اليوم تكرسون ذلك، وهذا الشعب لا يمكن له أن يتخلى عن هذه العراقة والأصالة".

تصريحات السفير الفلسطيني امتداد لمشاعر أخوتنا في فلسطين حيث قربت وسائل التواصل الاجتماعي المسافات وألغت الحدود والقيود، فما يظهره الشعب البحريني من تضامن وتعبير ونصرة للقضية وللشعب الفلسطيني يصل مباشرة إلى أهله هناك، الصوت المنادي في المنامة برفعة القضية الفلسطينية يصل لمسامع المرابطين في القدس ورام الله ونابلس والخليل، ورفرفة الأعلام في المحرق تصل إلى تخوم غزة، وخان يونس ورفح. اليوم لم يعد هناك حدود ولم تعد هناك حواجز تمنع التضامن والأصوات المناصرة والداعمة من الوصول إلى "زهرة المدائن".

وفي المقابل فإن كل الأصوات التي كانت تطفو عائمة ضد تيار المد الشعبي، تهلل وتصفق وتروج لاتفاق التطبيع من الكيان أصاب أصحابها الخرس وانكتمت، وتبدد كل زعيقهم، وزادت عزلتهم ونبذهم من قبل كل أبناء شعبنا، فما بدا مفضوحا ما كانوا يصدعون رؤوسنا به عن وردية جيش الاحتلال، وشيطنة داعمي القضية الفلسطينية وربط مآربهم وأهدافهم بغير ذي القدس كما يدعون، وتلاشت تلك الفقاعات حينما شاهد العالم أجمع وحشية ذلك الكيان واستهدافه للمساكن والأطفال والمدنيين العزل.

سيبقى شعب البحرين وفياً للقضية الفلسطينية وما تمثله القضية الفلسطينية، ومهما دارت المتغيرات السياسية والدولية والمآرب البرغماتية، فإن هذا الشعب كان وما زال وسيبقى كشجرة زيتون جذعها في المنامة وأغصانها الوارفة تظلل القدس.

خديجة الصائغ

عفاف غطاشة

بدرية المرزوق

عائدة نصر الدين

هديل كمال الدين

في مهرجان تضامني عربي أقامه قطاع المرأة بالتقدمي

المرأة الفلسطينية في الصفوف الأمامية بساحات المواجهة

قالت رئيس قطاع المرأة في المنبر التقدمي خديجة الصائغ «إن المرأة الفلسطينية اندفعت إلى ساحات النضال، همها في ذلك تحرير الوطن المسلوب»، مشيرةً إلى أن: «الفلسطينية شاركت بفاعلية في النضال الوطني عبر التاريخ في الداخل الخارج، وخاضت ببسالة معارك الدفاع عن الثورة الفلسطينية من أجل الحرية والاستقلال».

وقالت الصائغ في كلمة لها خلال مهرجان تضامني مع المرأة الفلسطينية نظمه قطاع المرأة في التقدمي وأدارته الرفيقة منار السمّاك، بأن: «العالم شاهد خلال الاحداث الأخيرة، عبر أجهزة الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي، اعتداءات جيش الاحتلال على المدنيين العزل وقصف المباني السكنية والاعتداء على المارة والمصلين، مشيرة إلى أن: «المرأة الفلسطينية كانت أيقونة الرد الفلسطيني التي لم ولن تسكت، وكانت نغمة ثورية تصدح في ساحات المواجهة».

تذكرة مجانية

من جانبها، اعتبرت رئيس الاتحاد البحريني بدرية المرزوق بأن: «التطبيع مع العدو الصهيوني تذكرة مجانية ليتوسع الاحتلال في قتل أهلنا في فلسطين وتهجيرهم»، داعية: «الدول المطبعة لإلغاء التطبيع والتمسك بثوابت الامة العربية».

وشددت على أن: «المجتمع الدولي مطالب بملاحقة هذا الكيان قانونيًا وحقوقيًا على ارتكابه جرائم ضد الإنسانية في فلسطين، أمام المحاكم الدولية، فهدم البيوت على أهاليها المدنيين بشكل ممنهج، تكون ضحيته الاطفال والنساء والشيوخ

أريج الجمري

هو مما يحرمه القانون الدولي».

المرأة مقاومة

على الصعيد ذاته، قالت ممثل الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني هديل كمال الدين بأن: «المرأة جزء لا يتجزأ من حركة المقاومة والنضال، بل وقدم البعض منهن أرواحهن فداءً لهذه الأرض المقدسة، حيث لم تمنع المواثيق الدولية ولا الأخلاق الإنسانية الاحتلال من ممارسة جرائمه في حق الفلسطينيين بشكل عام والنساء الفلسطينيات بشكل خاص».

إلى ذلك، نوهت أمين سر جمعية الشبيبة

منار السمّاك

البحرينية أريج الجمري إلى أنه: «لا يمكننا الاحتفال اليوم على الرغم من الانتصار الذي حققته المقاومة الفلسطينية في جميع انحاء فلسطين فالاحتلال الصهيوني لا زال مستوطنا ومتواجدا على هذه الارض رغم وقف إطلاق النار»، وقالت بأن: «ما حدث في غضون الاسابيع الماضية كان ليس انتفاضةً فحسب بل كانت صحوة لضمير العالم كشفت ممارسات العدو الصهيوني».

فلسطين للفلسطينيين

على صلة، أكدت عضو المكتب السياسي في حزب الشعب الفلسطيني رئيس اتحاد لجان المرأة العاملة الفلسطينية عفاف غطاشة: «أن الاحتلال أسقطه حل الدولتين ولم يحترم الاتفاقيات، وأن إصرار الشعب الفلسطيني على أن يتحرر من جبروت هذا الاحتلال الفاشي جعله مؤمناً إيماناً متجدداً أن فلسطين، كل فلسطين هي للفلسطينيين».

واعتبرت غطاشة بأن: «الاحتلال راهن على أن الشعب الفلسطيني ومع الوقت سينسى ويتقاعس ويدجن»، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، وأثبت الشعب الفلسطيني وخاصة الشباب ومن أطلق عليهم (جيل أوسلو) أنه لهذا الاحتلال بالمرصاد، وبأن لديه وعياً وانتماءا وحساً وطنياً عالياً، ترجمه بالميدان وبالوحدة»

منسقة المركز الإقليمي للمنطقة العربية في الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي عائدة نصرالله قالت «إن الغرب تعامل مع المسألة الفلسطينية باعتبار ما انتهت إليه الأمور بعد النكبة، مزورين التاريخ، ومغفلين مأساة شعب جرى التآمر عليه فاقتلع من مكانه وأصبح مشتتاً في الأرض بفعل تعامل إمبريالي». مشددة على أن:» النساء الفلسطينيات المناضلات عملن في كل المناطق لإطلاق تظاهرات وإقامة وقفات إدانة وتطيير رسائل بُغية فضح ممارسات الاحتلال وفظائعه».

كانت تسمى فلسطين..
صـارت تسمــى فلسطيــن

على مدى اكثر من سبعة عقود مضت، وعلى الرغم من كل التحولات التي جرت اقليميا وعالميا وبالتالي فلسطينيا وعربيا ايضا، بقيت القضية الفلسطينية قضية مركزية للسواد الأعظم من الشعوب العربية ولجميع حركات التحرر العربية والعالمية، بالإضافة إلى شرائح واسعة ومهمة من المهتمين والمشتغلين بالثقافة والفكر.

عبد النبي سلمان

بطبيعة الحال نحن لا نتحدث هنا عن تلك الشرائح التي ظهرت كالفطر على خلفية تلك التحولات، وفي مقدمتها شرائح تسلقت موجة الليبرالية المتوحشة ومفاهيم اقتصاد السوق التي جرى تسويقها طيلة العقود الثلاثة الماضية باعتبارها مفاهيم ستحقق للبشرية المزيد من الازدهار الاقتصادي والتعاون وستعزز بدورها ممارسات حقوق الانسان والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، والتي اكتست كما تابعنا جميعا، زخماً مضاعفاً بشكل خاص بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانهيار المنظومة الاشتراكية لاحقاً، وما احدثه كل ذلك من تراجع مهول في دور حركات التحرر عبر العالم وفي عالمنا العربي على وجه التحديد، وتلك الشرائح "المتلبرلة" انما كانت في واقع الحال تمارس هروباً وسقوطاً لم يتورع عن ممارسة كثير من وجوه الابتذال والاغتراب القائم أساساً على كثير من الخواء الفكري، علاوة على الانبطاح دون مسوغات مفهومة رغم انتهازيتها الواضحة.

وبالفعل جاءت الأحداث الأخيرة في حي الشيخ جراح وباب العمود وما يجري تحديدا من تهويد قسري في مدينة القدس المحتلة وفي قطاع غزة والضفة الغربية وعموم الأراضي الفلسطينية حيث يستمر الكيان الغاصب في قضم ومصادرة الأراضي الفلسطينية والبيوت والمزارع والأحياء الفلسطينية، وبصلافة وغرور غير مسبوقين، مستفيدا مما توفر له من مناخ عربي منهزم، خائف ومتساقط على المستوى الرسمي، أو ربما غير مبال ومنشغل بهمومه وقضاياه المتعاظمة على المستوى الشعبي. إلا أن الأحداث الأخيرة التي تسببت في اشعالها سياسات ونزوات وغرور اليمين الصهيوني المتطرف وما يلقاه من دعم مستمر ومتنام من قبل الإدارة الأميركية والقوى الإمبريالية، حيث تابع العالم زيادة سطوة سياسة "الأبارتهايد" وعنصرية الاحتلال التي شحنت قطعان المستوطنين بكم مهول من الحقد والكراهية مما دفعهم إلى تجاوز كل الخطوط الحمراء، والاتفاقيات والمعاهدات والقوانين والقرارات الدولية بشأن القضية الفلسطينية.

وكانت طموحات اليمين الاسرائيلي تمنيه بأن كل الظروف باتت مهيأة تماما لممارسة سياساته تلك في ظل صمت عربي وعالمي، وتطبيع وعلاقات ثنائية مع الجانب الرسمي العربي حيث شاهدنا كيف يفاخر بها رئيس وزراء الكيان الغاصب إبان حملته الانتخابية الأخيرة أمام شعبه والعالم وهو يسعى لاعادة انتخابه مجدداً.

لكن ها هي الظروف الموضوعية والواقع الفلسطيني على الأرض مدفوع بكم هائل من المعاناة ينسف كل طموحاتهم وآمالهم ويعيد القضية الفلسطينية إلى صدارة واجهة الأحداث عربياً وعالمياً أيضاً، دون أدنى انتظار لأي موقف رسمي عربي سواء من الأنظمة أو حتى من قبل الجامعة العربية، وفجأة يستعيد الشارع العربي في كل المدن والأحياء العربية، وعلى الرغم من انشغالاته وهمومه، حيويته ومساندته للحق الفلسطيني وبزخم استثنائي هذه المرة، لعل ابرز مطالبه رحيل الاحتلال وانهاء دولة "الأبارتهايد"، تلك الدعوة التي لاقت ولازالت تلاقي صدى كبيراً في غالبية مدن العالم، حيث أثبتت مؤسسات المجتمع المدني والأحزاب في العديد من دولنا العربية والعالم حيويتها في رفض سياسات التهويد القسري والمطالبة برحيل الاحتلال وشجب ممارساته العنصرية، الأمر الذي أوقع الكثيرين من دعاة التطبيع والمطبعين في حرج شديد، خاصة عندما تزداد مطالب المقاطعة لبضائع الاحتلال واغلاق السفارات في العديد من عواصم العالم، وعندما تتخذ دول أوروبية وازنة قرارات بوقف التعاطي تجارياً مع الكيان المحتل، وتضطر حكومات تلك الدول للإصغاء لمطالب مؤسساتها المدنية وأحزابها وقواها المجتمعية حتى في الداخل الأميركي والأوروبي، وتستنفر شخصيات سياسية واقتصادية وفنية ورياضية على مستوى العالم، موجهة انتقاداتها ورفضها لممارسات الاحتلال وفضحه عبر وسائل الإعلام المختلفة، هنا يصبح الأمر أكثر مسؤولية سياسية وأخلاقية وتضامنية لدى دولنا العربية وشعوبها التي برهنت مراراً على وقوفها مع الحق الفلسطيني.

بطبيعة الحال لا نريد أن نبالغ في توقعاتنا وأحلامنا بقرب زوال الاحتلال، لكن علينا أن نتذكر أن نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا كان يتمترس كثيراً خلف ما كان يستمده من دعم ومساندة من دول عظمى ومن فيتوات وقرارات مجلس الأمن، ومن دعم إمبريالي عبر المال والاقتصاد والسلاح، لكنه تهاوى وأصبح جزءا من تاريخ مقبور لا سبيل لعودته، وحتماً سيرحل الاحتلال الاسرائيلي باعتباره وصمة عار في جبين الانسانية ولن تحميه قبته الحديدية ولا صواريخه العابرة ولا قنابله النووية ولا دعوات المطبعين والمنبطحين، ولا حتى دعم الإدارات الأميركية المتعاقبة، وعلينا أن نكون أكثر إيماناً بعدالة قضية شعبنا الفلسطيني وحقه المشروع في استعادة أرضه ومقدساته مهما طال الزمن.

(قف)

إرهاب صهيوني ومقاومة مشروعة

في متناولنا لمفهومي المقاومة والإرهاب، لابد وأن نتوقف أمام حالة الالتباس والغموض التي فرضت نفسها على هذين المفهومين، حيث نلاحظ كيف تتعمد الآوساط السياسية والثقافية الأمريكية والرأسمالية الغربية عموماً و«إسرائيل» على وجه الخصوص، بأن تجعل مقاومة الشعوب المستعمرة والمضطهدة ارهاباً، ومن ارهاب النظام الراسمالي وحليفه الصهيوني عملاً مشروعاً، وبالتالي فإن هذا الالتباس أو الغموض ليس في حقيقته إلا محاولة لطمس الحقيقة الموضوعية التي تفصل بصورة لا لبس فيها بين المقاومة المشروعة من ناحية وبين الإرهاب الامبريالي والصهيوني من ناحية ثانية، وهي منهجية مرتبطة باختلال التوازن بين حركات التحرر العالمية والبلدان الفقيرة من جهة، ونظام العولمة الرأسمالية وحليفه الصهيوني من جهة ثانية.

فهد المضحكي

محور الحل لابد أن يقوم على احترام حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني وفي إقامة دولته المستقلة

يذكر الباحث الفلسطيني غازي الصوراني أن أي باحث موضوعي أو محايد، في تناوله لمفهومي المقاومة والإرهاب وتطبيقهما على الحالة الفلسطينية، سيجد نفسه – لا محالة – مضطراً للفصل بين المفهومين بحيث تتبدى بوضوح الممارسات العدوانية الهمجية الإسرائيلية كتجسيد لمفهوم الإرهاب الذي مورس على الشعب الفلسطيني وادى إلى اقتلاعه من أرض وطنه، واستمرار حرمانه من السلام العادل الذي يحقق أهدافه الوطنية في العودة وتقرير المصير والدولة وفق قرارات الشرعية الدولية، التي يناضل من أجل تنفيذها مستخدماً في ذلك كل أشكال النضال السياسي والمسلح التي لايمكن تفسيرها إلا شكلاً من المقاومة المشروعة التي اقرّتها المواثيق الدولية، وهي مقاومة ترتكز بصورة أساسية إلى إرادة هذا الشعب أكبر بما لا يقاس من ارتكازها إلى معدات القتال التي لا يملك منها شيئاً بالقياس إلى الآلة العسكرية الضخمة التي يمتلكها العدو الإسرائيلي بدعم لا محدود من الولايات المتحدة.

إن الفلسطيني وهو يقاوم يسعى إلى الحرية والانعتاق لكي ينال المواطنة على أرضه ودولته، وتنتهي إلى الأبد صفة الضحية التي لازمته حتى اللحظة بسبب المغتصب والقاتل الصهيوني الذي يحاول القضاء على كل آماله في الحرية والحياة....فمن هو الارهابي إذن؟ أهو الذي يناضل من اجل حريته واستقلاله وحياته الكريمة الآمنة؟ أم ذلك العدو الصهيوني الذي اغتصب فلسطين بدواعي المصالح الرأسمالية العالمية دون أي مسوغ أو حق تاريخي فيها على الإطلاق، ويمعن في تكريس هذا الاغتصاب برفضه القبول بقرارات الشرعية الدولية، رغم أن الضحية قد اكرهت على قبول تلك القرارات في ظل متغيرات وأوضاع دولية وعربية، عززت النزعة التوسعية الصهيونية، وأدت إلى هذا الاختلال العميق في ميزان القوى لصالح الكيان الإسرائيلي الذي استمر في ضمّ الأراضي الفلسطينية وتجزئتها وتحويلها إلى كانتونات تحاصر الشعب الفلسطيني من كل جانب رافضاً قرارت الجمعية العامة ومجلس الأمن وقرار محكمة لاهاي بخصوص الجدار التوسعي، من أجل تحقيق هدفه في إذلال الشعب الفلسطيني وفرض الاستسلام عليه عبر ممارسة كل أصناف الإرهاب...الأمر الذي فرض على هذا الشعب أن يتصدى لهذا الإرهاب بكل أشكال المقاومة كحق وواجب وطني أقرّته المواثيق الدولية، ما يجعل من المقاومة الفلسطينية من أجل الحرية والعودة هي النقيض الحقيقي للإرهاب الصهيوني.

إن الحل العادل للقضية الفلسطينية لابد أن ينبع من ضمير البشرية المتحضرة، وأن يستند إلى قواعد القانون الدولي والشرعية الدولية، وأن يتمشى مع القرارات التي لا حصر لها والتي صدرت عن هيئة الأمم المتحدة في هذا الشأن.

ومحور هذا الحل لابد أن يقوم على احترام حق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني وفي إقامة دولته المستقلة، وحق العرب الفلسطينين الذين طردوا من بلادهم في العودة إليها، وحق جميع البشر على أارض فلسطين بكل اجزائها، في الحرية والعدالة والمساواة وحقوق الإنسان.

إن الأطماع الاستعمارية والتوسعية والعنصرية للصهيونية الدولية وللقوى الحاكمة في إسرائيل، وما تلقاه هذه الدول من دعم سياسي واقتصادي وعسكري مستمر ومتزايد من الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك ضعف وتفكك العالم العربي وخضوع العديد من نظمة للنفوذ الأمريكي وافتقاره إلى الحد الأدنى الضروري من التضامن وفشل المنظمات الدولية المعنية حتى الآن في الزام المعتدين الاسرائيلين باحترام القوانين والأعراف الدولية وقرارات الأمم المتحدة المتلاحقة في شأن القضية الفلسطينية، كل ذلك قد حال دون التوصل إلى حلٍ حقيقي لتلك القضية.

ديالكتيك جديد للقضية الفلسطينية

أعادت مواجهات حي الشيخ جرّاح بين المواطنين المقدسيين والجنود والمستوطنين الإسرائيليين، وما تلاها من تطورات عسكرية، القضية الفلسطينية مرة أخرى إلى واجهة الأحداث، وذلك في الوقت الذي كانت فيه الكثير من المعطيات الإقليمية والدولية، توحي بحدوث تجاهل كبير لهذه القضية على المستويين العربي والعالمي، وهذا التجاهل، تضاف إليه رغبة عالمية قديمة بأن تطوى صفحة القضية الفلسطينية، بكل مشكلاتها وأزماتها التاريخية والوجودية، وأن تتحوّل إلى متحف التاريخ المنسي، بوصفها جزءاً من ماضٍ له حيثيات تجاوزتها الوقائع، فلا الحرب الباردة القديمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي قائمة، ولا الاتحاد السوفييتي نفسه موجود اليوم، ولا حركات التحرر الوطني في أوجها، ولا قوى يسار عالمي تدافع أمام حكوماتها عن حقوق الشعب الفلسطيني.

حسام ميرو

باستمرار، كان منطق صنّاع القرار في إسرائيل هو تقليص البعد الوجودي/ الهوياتي في القضية الفلسطينية، وتحويلها إلى سلسلة قضايا منفصلة. ويمكن القول إن هذه الاستراتيجية وجدت صداها وتأييدها لدى معظم القوى العالمية، وذلك انطلاقاً من قناعة مفادها أن الزمن، بما يتضمنه من تحوّلات تفضي إلى فوارق نوعية في ميزان القوى، كفيل بأن يحل معظم القضايا الكبرى، أو على الأقل يجعلها قليلة التأثير، أو محرومة من أية معطيات لتفعيلها، وقد يكون لهذا المنطق ما يبرره من الناحية النظرية، لكن من الناحية العملية، فإن ما يفرض نفسه هو طبيعة القضية نفسها، وخصائصها الداخلية، التي تجعل من بعض القضايا غير قابلة للذوبان النهائي، مهما حدث من تحولات أو تغيّر في الوقائع.

صحيح أن زمن حركات التحرر الوطني قد أصبح من الماضي، لكن من الصحيح أيضاً أن معظم قضايا التحرر الوطني التي عرفها القرن الماضي وجدت طريقها إلى الحل، بينما بقيت القضية الفلسطينية في خانة المؤجل الدائم، وساحة استثمار لأطراف عديدة، لا تتوافر إرادة دولية فاعلة لوضعها على سكّة الحل. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد بقيت القضية الفلسطينية دائمة الحضور في الأجندات المتعاقبة للرؤساء الأمريكيين، لكن بطريقة شكلية تماماً.

مواجهات حي الشيخ جراح، تعيد معها أحد فصول مأساة القضية الفلسطينية، وهي مأساة التهجير القسري للسكان الأصليين، في محاولة لتغيير الطابع الديموغرافي، وهو ما ينافي، ليس المنطقين الإنساني والتاريخي فقط، بل أيضاً القانون الدولي الذي يعتبر أن جريمة التهجير القسري أساسها «ممارسات حكومات أو قوى شبه عسكرية أو مجموعات متعصبة تجاه مجموعة عرقية أو دينية أو مذهبية بهدف إخلاء أراض معينة، وإحلال مجموعات سكانية أخرى بدلاً عنها»، وهو ما ينطبق فعلياً على الممارسات التي تقوم بها إسرائيل في حي الشيخ جراح، بهدف إحلال مستوطنين بدلاً عن سكانه الفلسطينيين، وتغيير معالمه العمرانية والتاريخية والاجتماعية.

قد تكون محطات النضال الفلسطيني، بما لها وما عليها، قد وصلت في أشكالها القديمة إلى أزمة لا يمكن إنكارها، لكن على الجانب الإسرائيلي توجد أزمة أيضاً لا يمكن تجاهلها، فقد أحرزت إسرائيل تقدماً على الجبهات الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية، لكنها لم تتمكن من تحويل المواطنة إلى ممارسة فعلية تنطبق على جميع سكانها، نتيجة لاستمرارها في تبني مسار الدولة القومية، على الرغم من انعدام مقوّماته، من حيث التاريخ المشترك أو الهوية العرقية والدينية، وهذا المسار هو شكل من أشكال الهروب إلى الأمام؛ لعدم قدرتها على الالتزام باستحقاقات الدولة التعددية، وما يمكن أن تفرضه من تغيّرات على بنية إسرائيل نفسها.

التحوّل النوعي اليوم في القضية الفلسطينية هو أنها لم تعد فقط قضية تحرر وطني، بل أيضاً قضية في سبيل المواطنة. فالأجيال الجديدة من الفلسطينيين، خصوصاً داخل أراضي ال48، ينتمون فعلياً إلى عصر مفاهيمي جديد، تحتل المواطنة فيه موقعاً مركزياً، تتمحور حوله مختلف القضايا القانونية والاقتصادية والإنسانية، وفعلياً هذا الجيل هو الذي انخرط في المواجهات السلمية في حي الشيخ جراح، ليقول إن القضية الفلسطينية تمتلك راهنيتها، ليست فقط لأصالتها التاريخية، وما تتضمنه من حقوق وإرث وجداني، بل لأنها قضية يومية، من أجل تحقيق مبدأ الفرد/ المواطن، حقوقياً وسياسياً.

عودة إسرائيل للتعاطي مع الاحتجاجات الفلسطينية بالأدوات القديمة ذاتها، تؤكد عدم استيعاب النخب الإسرائيلية لطبيعة الديالكتيك الجديد للقضية الفلسطينية، الذي يقوم على تفاعل بين مفهومي التحرّر الوطني والمواطنة.

أسئلة كبرى في ذكرى «صناعة» الكيان الإسرائيلي

ليس بالصورة التي ترغب فيها إسرائيل وداعموها مرّت الذكرى الثالثة والسبعون على «صناعتها»، ولا نقول تأسيسها، فهي لم تتأسس من تلقاء ذاتها، وإنما نتيجة ترتيب دولي مُحكم، بدأ بوعد بلفور سيء الصيت، وانتهى إلى إعلان هذا الكيان في صورة "دولة"، فُرضت كأمرٍ واقع بعد أن تمّ تهجيرجزء كبير من الفلسطينيين أهل الأرض، واستجلاب مستوطنين من مختلف بقاع العالم، وتولى الماسكون بمقاديرِ الأمور في العالم مدّ هذا الكيان بكل أسباب الدعم والتقوية والتمكين، اقتصاديا وعسكرياً وأمنياً وسياسيا، ويكفي إلقاء نظرة على تاريخ ممارسة النقض "الفيتو" في مجلس الأمن الدولي، لمعرفة عدد مرات استخدام هذا «الحق" من قبل الولايات المتحدة، وربما غيرها من الدول الغربية لصالح إسرائيل وحمايتها من اية إدانة دولية.

د. حسن مدن

حلّت هذه الذكرى المشؤومة في ظل انفجار الأوضاع في كامل الأرض الفلسطينية، بدءاً من القدس على خلفية الرغبة الصهيونية في مصادرة بيوت عائلات مقدسية في حي الشيخ جرار، حيث شهدت المدينة حراكاً شعبياً احتجاجاً على ذلك، سرعان ما امتدت آثاره في كامل الضفة الغربية، وغزة، وفي الأراضي الفلسطينية التي أقيم عليها الكيان في عام 1948، فبدا الشعب الفلسطيني موحداً بصورة لا سابق لها، وأدى العدوان الإسرائيلي، غير المسبوق أيضاً، في حجمه ووحشيته، على قطاع غزة، والحجم المهول من الضحايا المدنيين، بمن فيهم الأطفال والنساء والشيوخ، إلى إشعال مراجل الغضب في فلسطين وفي البلاد العربية عامة.

ما جرى ويجرى يطرح أسئلة كبرى، نتناول هنا بعضها.

(1)

شاهدتُ حوارات باللغة الروسية على إحدى القنوات لمهاجرين يهود من روسيا إلى اسرائيل تعبرِ عن المأزق الكبير الذي بلغه هذا الكيان، الذي يجد نفسه وجهاً لوجه أمام أسئلة وجودية كبرى، بعد أن وصلت الصواريخ الآتية من غزة إلى العاصمة تل أبيب والمدن الأخرى في الكيان، وانلاع مواجهات بين السكان الفلسطينيين في هذه المدن والمستوطنين اليهود ، الذين اضطر الكثيرون منهم للفرار من هذه المدن، فافاق هؤلاء المستوطنون على حقيقة أن "جنة الفردوس" الآمنة التي وعودوهم بالعيش فيها، إذا هاجروا إليها، قد استحالت إلى جحيم، وليس المهاجرون من روسيا وحدهم من يواجهون هذه الأسئلة المرّة، وإنما كل من أتوا من بلدان آمنة ومستقرة أدركوا أنهم أقدموا على حماقة، وأن مستقبل عيشهم واستقرارهم بات سوداوياً، وصاروا يطرحون الأسئلة عن جدوى وجودهم في إسرائيل، بل وأكثر من ذلك باتوا يطرحون أسئلة عن السبب الحقيقي لنشوء الصراع، والمتمثل في تهجير الفلسطينيين وإحلال سكان مستقدمين من الخارج محلهم، على أراضيهم وفي مدنهم وبلداتهم، لا بل وفي بيوتهم نفسها.

يراهن اليمين الإسرائيلي المتطرف بزعامة نتنياهو إن ما يجري من عنف الآن سيعزز من نفوذه وتأثيره، وسيعلي من المزاج العنصري داخل إسرائيل، وقد يحدث هذا فعلاً في المدى المنظور، لكن مضى الزمن الذي بوسع إسرائيل أن تنام فيه قريرة العين على أنها في وضع آمن، رغم ترسانتها النووية.

والتجربة تظهر أن إسرائيل اعتادت على كسب الضربات الخاطفة والسريعة، لكن أي مواجهة مستمرة ستعرضها لخسائلر وإركات شديدة، بما في ذلك في المجال الاقتصادي، ويتفل موقع «آر . تي» أن الاقتصاد الإسرائيلي تعرض لخسائر كبيرة بسبب الهجمات الصاروخية التي نفذتها فصائل المقاومة الفلسطينية على العديد من المدن الإسرائيلية.

وحتى منتصف الشعر الماضي (مايو/ آيار) بلغت كلفة الصواريخ الاعتراضية في يومين فقط أكثر من 50 مليون دولار، حيث أن ثمن الصاروخ الواحد لمنظومة "القبة الحديدية" يبلغ نحو 150 ألف دولار. وتجاوز إجمالي كلفة النشاط العسكري الإسرائيلي 200 مليون دولار، فيما ألحق الإغلاق الكامل والجزئي للمصانع في غلاف غزة خسارة في الأنشطة الاقتصادية، وادت الهجمات الصاروخية الفلسطينية إلى توقف حركة المطارات وإلغاء شركات الطيران رحلاتها، فضلا عن تعليق العمل في حقل تمار للغاز الطبيعي في المتوسط، وإصابة خطوط أنابيب النفط بين عسقلان وإيلات.

(2)

السؤال الكبير الآخر تواجهه القيادة الفلسطينة الحالية، المترهلة عمراً وأداءً ونهجاً، والتي أظهرت عزلتها عن الحراك الشعبي الجاري، في كامل الأراضي المحتلة، سواء في عام 1948 أو 1967، وخسران رهاناتها بدءاً من اتفاقية "أوسلو" سيئة الصيت، التي انتفع منها كبار رموز السلطة، الغارقون في الفساد بصورة لا تقل عن نظرائهم من الحكام في البلدان العربية الأخرى، وعادت بالبلاء على أبناء الأراضي المحتلة وعلى القضية الفلسطينية برمتها.

آخر "خطيئة" اقترفتها هذه النخبة كان تأجيل الانتخابات الفلسطينية التي كان من الممكن أن تدفع بوجوه جديدة إلى المجلس التشريعي والسلطة، تعيد ضخ الدماء في الشرايين المتخثرة، وتفتح أفقاً وأملاً جديدين للفلسطينيين الصامدين، وتدفع بملف توحيد الصف الفلسطيني، في الضفة الغربية وقطاع غزة، الذي يعاني من الجمود والتعثر رغم التحديات الخطيرة التي تواجهها القضية الفلسطينية، بما فيها موجة التطبيع العربي الأخيرة، التي شهدناها بضغط وتشجيع من الإدارة الأمريكية السابقة.

(3)

التحرك الشعبي الفلسطيني الآخر، باتساعه وشموليته، وضع مسألة التطبيع العربي في مأزق. فالكيان الذي سوّق نفسه كقوة اقتصادية وعسكرية مستقرة، يمكن الاعتداد بها في مواجهة تحديات اقليمية، اظهر أنه يعاني من أوجه هشاشة ظل يكابر في اخفاءها، ولسنا نقلل من خطورة ترسانته النووية ومن الدعم الخارجي المقدم له والمؤمن بدعم لوبيات صهيونية في دول غربية كثيرة في مقدمتها الولايات المتحدة، وهذا ما يبرز الآن من أشكال دعم معنوي وسياسي ودبلوماسي يتلقاها في حربه على غزّة، لكن ما عسى كل هذا أن يفعل أمام ما يجري داخل فلسطين نفسها اليوم، والقابل للاستمرار والديمومة، وحتى لو جرى قمعه بالبطش الشديد، فإنه قابل للتجدد في أي وقت، وبوتائر أشدّ.

هناك موجة من الغضب الشعبي العربي، والتعاطف الكبير مع الشعب الفلسطيني، يزيد من عزلة نهج التطبيع المرفوض وغير المستساغ شعبياً، تطرح هذا الموضوع بكل قوّة وإلحاح، والمطلوب هو الاصغاء لصوت الشعوب وتطلعاتها في ألا يكافيء هذا الكيان الغاصب بتطبيع يُقويه ويزيد الموقف العربي ضعفاً على ضعف، ويسيء للشعبً الفلسطيني الصامد والمرابط.

بصراحة

نعم.. فلسطين قضيتي

إننا للمرة الألف نقول :
لا وحقّ الضوء ..
من هذا التراب الحُرِّ
لن نفقد ذرّه !!
إننا لن ننحني ..
للنار والفولاذ يوماً ..
قيد شعرَه !!

توفيق زياد

فاضل الحليبي

ستظل القضية الفلسطينية محفورة ليس في الذاكرة فقط، بل إنها محفورة في قلوبنا ووجداننا منذ نعومة أظافرنا، ونحن أطفال في المدارس عرفنا فلسطين بأنها بلد عربي محتل، شُرِّدَ شعبها في أصقاع الأرض الواسعة بعد ما مارست العصابات الصهيونية القتل والإرهاب وكافة أشكال العنف منذ عام 1948 بحق الشعب الفلسطيني، وفي البحرين نعتز بأننا تعلمنا على أيدي مدرسين فلسطينيين في مختلفة المراحل التعليمية، لهذا ستبقى القضية الفلسطينية حيّة في قلوبنا طالما بقي الاحتلال جاثماً على صدور الشعب الفلسطيني الشقيق ومحتلاً أرضه.

هذا الكلام ليس عاطفياً أو إنشائياً، وإنما هو خارج من القلب، مهما تكالبت على قضية فلسطين المؤامرات والدسائس من قبل بعض العرب، الذين أصبح العدو الصهيوني صديقاً لهم، لكي ترضى عنهم الإمبريالية الأمريكية، ولكن الشعوب العربية ترفض سياسة التطبيع معه مهما كانت الظروف، وخير مثال على ذلك موقف الشعبين المصري والأردني بعد مضي أكثرً من اثنين وأربعين عاماً على توقيع ما تعرف ب «معاهدات السلام» مع العدو الصهيوني، حيث يرفضان كافة أشكال التطبيع مع الصهاينة القتلة، وهذا ما أكدّت عليه قبل أشهر سفيرة الكيان الصهيوني في مصر، عندما صرَّحت للصحافة بأنها غير مرحب بها على الصعيد الشعبي ولا توجه لها دعوات في العديد من الفعاليات الرسمية وغيرها، مما يؤكد بأن الشعوب العربية ليست مع التطبيع مع العدو الصهيوني، حتى لو طبّعت معه الحكومات.

فالقضية الفلسطينية اليوم ليست قضية عربية أو إسلامية، وإنما هي قضية إنسانية وأممية، لهذا يتضامن معها كل أحرار العالم ويدينون إرهاب وعدوان الكيان الصهيوني، بالرغم من محاولات الماكنة الإعلامية الصهيونية العالمية منع نشر مايجري في الأراضي الفلسطينية من عدوان وحشي وقتل الإنسان وتدمير البنية التحتية في قطاع غزة، وتمنع بعض التغطيات من عرضها في بعض وسائل «السوشيال ميديا»، مثل الفيسبوك وانستغرام، لكن هناك العديد من التطبيقات والبرامج التي تعري أكذوبة النظام الصهيوني ب "الدفاع عن النفس" وهو الذي يمارس سياسة الإبادة الجماعية ضد الشعب الفلسطيني.

الاحتلال الصهيوني هو أقدم احتلال استعماري في العصر الحديث، قائم على الفصل العنصري، فهو لا يختلف عن النظام البائد في جنوب افريقيا الذي سقط في عام 1991، نظام يحكم باسم الديانة اليهودية التي حوّلها إلى قومية، فيما المعروف أن الدين ليس قومية مثلما يدعي الصهاينة، الذين يدّعون بأنهم شعب الله المختار، وأن أي نقد يوجه لهم هو معاداة للسامية، مبتزين العالم خاصة في بعض البلدان الأوروبية كألمانيا، التي لازالت تدفع مليارات الدولارات سنوياً للكيان الصهيوني تعويضاً عن ما اقترفه هتلر إبَّان الحرب العالمية الثانية باليهود فيما يُعرف "الهولوكوست"، في الوقت الذي اقترف الكيان الصهيوني وعصاباته مجازرَ وجرائمَ بحق الشعب الفلسطيني منذ قيام الكيان الصهيوني في 15 مايو 1948 حتى هذه اللحظة لا تقلّ في بشاعتها ووحشيتها عما فعل هتلر في "الهولوكوست"، ولا يلتزم هذا النظام العنصري بأي قرار دولي يلزمه بتنفيذه منذ قيامه حيث يسنده في ذلك الإمبريالية الامريكية التي بدون دعمها لن تقوم له قائمة .

منذ أن بدأت احتجاجات الفلسطينيين في حي الشيخ جرَّاح في القدس الشرقية المحتلة في الأيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان، ضد إخلاء بيوتهم لصالح المستوطنين الصهاينة، فهدف الكيان الصهيوني بناء 200 وحدة سكنية لإسكان مستوطنين يهود وسط هذا الحي العربي، ما تسبب في وقوع صدامات بين الشباب والأهالي الفلسطينيين في الحي والمستوطنين المدعومين بقوات الاحتلال الصهيوني، وتضامن معهم الأهالي في مدن وقرى الضفة الغربية المحتلة وقطاع غزة وأبناء الشعب الفلسطيني في أراضي عام 1948، فشُكلت وحدة وطنية فلسطينية في الهدف للتصدي للعدوان الصهيوني، تجسدت في كل أرض فلسطين التاريخية، وتسارعت الأحداث بعد أن حاولت قوات الاحتلال الصهيوني فكّ الاعتصام في حي الشيخ جرَّاح وباب العمود في القدس الشرقية والاعتداء على المصلين في المسجد الأقصى ومحاولة اقتحامه أكثر من مرة.

بعد تلك الاعتداءات الوحشية من قبل قوات الاحتلال وعصابات المستوطنين الصهاينة، حذرت المقاومة الفلسطينية في غزة بأنها سوف تقصف تل أبيب والمدن والمستوطنات الصهيونية، ثم أطلقت آلاف الصواريخ من القطاع باتجاه دولة الاحتلال، التي ردت بشكل همجي على الأبرياء من المدنيين حيث كان أكثر الضحايا الشهداء من النساء والأطفال والشيوخ وآلاف المصابين والجرحى، ولم تسلم الأبراج والمباني ومقرات الأمن والشرطة من القصف، في تحدٍّ سافر لكل الاحتجاجات والتظاهرات التي خرجت في العديد من المدن العربية والعالم مندة بتلك الاعتداءات الوحشية .

نعتقد بأن معادلة الصراع سوف تتغير لامتلاك المقاومة الفلسطينية آلاف من الصواريخ التي يعجز الكيان الصهيوني من التصدي لها وهي تخترق أجواء الكيان وتدك مدنه والمستوطنات ولم يستطع إيقافها ب «القبة الحديدية»، وبوحدة الشعب الفلسطيني وصموده ودعم الأشقاء العرب له وأحرار العالم، نصرة لنضال الشعب الفلسطيني الشقيق من أجل إقامة دولته الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس، وحق عودة اللاجئين وغيرها من حقوق الفلسطينيين المشروعة.

إن مطلب الشعوب العربية، بما فيها شعبنا البحريني هو وقف كافة أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني وطرد سفراء الكيان الصهيوني من عواصم البلدان العربية المطبعة، ففي التطبيع خروج على قرارات كل القمم العربية الماضية، ومساعدة مجانية للكيان الصهيوني وتشجعه على التمادي في عدوانه على الشعب الفلسطيني، كما يتوجب على السلطة الفلسطينية إلغاء إتفاقية أوسلو ووقف التنسيق الأمني مع الكيان الصهيوني، فالوحدة الوطنية والمقاومة أصبحتا اليوم خياراً واضحاً لكل أحزاب وفصائل الشعب الفلسطيني في مواجهة آلة الحرب والقتل الصهيونية .

ليسدد الأثرياء الضريبة!

ملاحظة:

أنبه القارئ لمسألة نظرية جد مهمة: إن في النظرية الاقتصادية العلمية دائماً ما تكون العلاقات الإنتاجية هي منطلق التحليل، وأساس فهم أي بنية اجتماعية ممكنة؛ هذا لا خلاف عليه. أما في التحليل الملموس اليومي لا بد أن تكون المطالب الاقتصادية قائمة على السبل الملموسة في ضرب رأس المال، مما يعني بأن علينا نشمل علاقات التبادل وعلاقات التوزيع (مثلاً، هذه العلاقة التي نتناولها هنا في ضريبة القيمة المضافة)، بالإضافة إلى الوجود الملموس لرساميل غير إنتاجية؛ مثل رأس المال التجاري، والخدماتي، والبيروقراطي، إلخ. هذا غير تحليل علاقات وتناقضات الطبقات التي لا تنتمي لا إلى البروليتاريا ولا إلى البورجوازية، مثل البورجوازية الصغيرة التقليدية والمتجددة.

إنني على وعي، إذن، بأن كلمة «غني» أو «الأغنياء» لا تنتمي إلى حقل الإنتاج بل التوزيع، ايّ المداخيل، وبالتالي لم استعمل عبارة «أغنياء» بفعل الإهمال أو الإنتقائية، بل من أجل التحليل الملموس لضريبة القيمة المضافة إذ إنها بطبيعتها تتمحور حول المداخيل لا الإنتاج (رغم أنها متحددة به). سيكون في مقدور القارئ، إذن، أن يفترض بأنني آخذ كل هذا كتحصيل حاصل دون أن أُفصل بشكل نظري بموقع كل مفهوم في كل مستوى نظري؛ وفي مقدوره ايضاً – كنتيجة لذلك – أن يعذر التمفصل ما- قبلي لهذه المفاهيم، كأمر واقع، دون أن أقدم له مقدمات نظرية، وبإمكانه أن يعود إلى مقالاتي السابقة ليفهم منظوري العام حول طبيعة العلاقات الإنتاجية في البحرين (1).

أضيف إلى ذلك نقطة أخرى ذكرتها في أحد الهوامش: الأرقام المستعملة تعبر عن محاولة استعراضية وتقريبية لعلاقات التوزيع، إنها ليست إمبريقية بالمعنى الفعلي للكلمة. وسبب ذلك هو أنه في البحرين لا تتوفر هذه المعلومات الإمبريقية الفعلية التي تعبر عن الأوضاع الفعلية للشعب العامل؛ اللهم دراسات فردية يشكر عليها الباحثين والجمعيات السياسية المعارضة. إن استعمال المعلومات لأغراض استعراضية، بدلاً من امبريقية، ليس جديداً على التحليل المادي التاريخي؛ والقارئ الجاد سيفهم ما ينبغي عرضه: لا الأرقام البورجوازية، بل حقيقة الصراع الطبقي.

بلا شك، القارئ قد مرّ بتحليلات أو آراء تقول شيئاً من هذا القبيل: «صحيح تمّ تطبيق ضريبة القيمة المضافة (VAT)، ولكن كان ذلك من أجل مصلحة الوطن ككل. نحن في وضع اقتصادي عام يجعل الحكومة تنزع نحو معالجة العجز عبر الاقتراض وتطبيق ضريبة القيمة المضافة». قد يبدو بأن هذا النوع من المنطق، في الوهلة الأولى، تأسس على تفكير عقلاني سليم. فبين ليلة وضحاها، وجدت البورجوازية البحرينية نفسها، وهي لم تكن قط حاملة للتفكير الفلسفي ولا التنوير

هشام عقيل

الفكري (على العكس عما تصوره لنا الجوقة الانتهازية اليوم)، أمام (نقد العقل العملي) لكانط، وبالأخص عند فصله الأول (الفقرة 70): «تصرف بطريقة يكون فيها نهج إرادتك الخاصة في ذات الوقت متوافقاً مع المبدأ التشريعي الكوني.». ولم يتبقَ لا إنساناً، ولا حيواناً، ولا طيراً، ولا حتى حجارة، في البحرين لم تلوح البورجوازية هذا المبدأ في وجهه.

باختصار كان نداؤهم: «اقبلوا برفع الدعم، وضريبة القيمة المضافة، وبانحسار الوضع المعيشي، إذ إن ذلك واجبكم الأخلاقي!». ثانياً، حالما ابدى أي شخص في البحرين انزعاجه من الأمر، وفي لحظة تفكير قال لنفسه بإن الضريبة المفروضة علي لا يمكن أن تكون هي هي تلك المفروضة على البورجوازية، قالوا له: «كيف يعقل ذلك؟ هذه 5٪ تنطبق علينا قبل أن تنطبق عليكم! نحن من يعاني بشكل مباشر من استيراد السلع من الخارج هذا بالإضافة إلى استهلاكنا اليومي!".

لكن الأمور ليست كما يصورها لنا البورجوازيون، ولا سيما محللوهم وصحافيوهم التوابع. يقولون لنا بإن ضريبة القيمة المضافة هي موحدة، وبأنها تنطبق أساساً على أي سلعة أو خدمة خاضعة لهذه الضريبة، وبالتالي الكل بلا أي استثناء خاضع لها (هذا بجانب من الضريبة الانتقائية). ولا طائل من تلويح كتاب (ما هي الملكية؟) لبرودون أمامهم بإجابة صريحة «إنها سرقة!»، إذ أن برودون نفسه قدّم إجابة خاطئة مهما كانت راديكالية؛ بل أسمحوا لي أن أقول بأنها إجابة مبسطة لا تفسر لنا شيئاً مهما أجبرتنا عواطفنا أن نتفوه بها. لذا من الأفضل أن نلحق بهم حتى أعتاب منازلهم.

بأرقام تقديرية بسيطة سيكون بإمكاننا أن نحل هذه المشكلة.

تقول الأرقام بأن المعدل العام للأجير البحريني هو 530 ديناراً في الشهر، بينما المعدل العام للأجير غير البحريني هو 240 ديناراً في الشهر. كما تقول التقارير العالمية (وأهمها تلك المنشورة من قِبل مجموعة بوستن الاستشارية) (2) بأن البحرين تعتبر البلد ذا أعلى كثافة للمليونيرات من بعد سويسرا، حيث من أصل كل 1000 عائلة في البحرين تكون 123 منها ذات دخل يزيد أو يساوي لمليون دولار أمريكي (ايّ 370 ألف دينار وما فوق). هذا يعني بأن 12٪ من الأسر البحرينية فقط كلها تتحكم بـ 70٪ من الثروة الخاصة في البحرين؛ وهذه المجموعة بحد ذاتها تتخالف من مجموعة تمتلك مليون دولاراً إلى آخرى تتأرجح ما بين 20 مليون دولار إلى 100 مليون (ايّ، ما بين 7 مليون ونصف دينار إلى ما يقارب 38 مليون دينار بحريني).

أما باقي هذه الأسر، إذا استثنينا منهم صغار الأثرياء (أولئك الذين يمتلكون دخلاً أقل من 370 ألف دينار)، فإنهم على الأرجح لا يتحكمون إلا بما هو أقل من 15٪ (رغم أنه ليس لدينا أي سبيل للتحقق من ذلك أكيداً). هذه الأرقام هي مهذبة رغم هولها، فهي في تفسيرها الأعمق لا تعني سوى شيئاً واحداً: الأثرياء (الكبار، والمتوسطين، والصغار) يتحكمون بـ 85٪ من الثروات،

بينما الشعب العامل (العمال، والموظفين الصغار، وأصحاب المحلات الصغيرة، والأسر المنتجة، والعاطلون، وأصحاب الحرف بشتى أشكالها، والمزارعون) يتحكم بما هو أقل من 15٪ (3). هذه هي الحقيقة.

نحن نعلم بأن الحكومة تقدّر الإيراد السنوي لضريبة القيمة المضافة بما يقارب 483 مليون دينار، ولما كان كل الناس سواسية حسب البورجوازية حيث إنها جميعها تساهم في تشكيل هذه الإيرادات السنوية فأننا سنجد بأن نصيب الفرد في المساهمة يقارب 322 دينار في السنة لمجموع إيرادات ضريبة القيمة المضافة.

الآن دعنا نضع أنفسنا في مشهد خيالي: «أنا وأنت نتنزه في الشارع؛ لنقل في سوق ما. هذا المسرح جامع لكل الشخصيات، والطبقات، والإثنيات، إلخ؛ هذه السوق التي كتب عنها مثقفونا الكثير من الهراء التاريخي. وقد تستذكر ما كتبه العظيم هولدرلن يوماً تأليهاً لليل:

«الأرباح والخسائر تعدها العقولُ المشغولة
ثم تهدأ تنام السوق المكتظة
بلا ورود، بلا عنب، بلا حرف.. »

لكننا لسنا أمام جمالية فلسفية – شعرية مثل هذه، حاشا الله! في بحريننا بلغ السقم كل الأرجاء فلا شعر، ولا جمال، ولا فلسفة بقت. إننا أمام سوق عادية غير ملهمة مكتظة بكل أنواع البشر. وبدلاً من الموت، انتشلنا أربعة منها: أحدهما عامل أو موظف بحريني يعيل نفسه وأسرته بمجموع 6360 دينار سنوياً. ثانيهما عامل أو موظف غير بحريني، وقد يكون عاملاً آسيوياً، يعيل نفسه وأسرته الصغيرة (التي قد تكون خارج أو داخل البحرين) بمقدار 2880 دينار سنوياً. وإن سألناهما بكل ساذجة: أيكفيكم هذا المرتب؟ لأجابنا البحريني (وأنتم تعلمون جيداً معنى هذه الإجابة، إذ للشعب "شفرات" لا يفهمها إلا الشعب): «خلها على الله. الحمد لله على كل حال»، ولعل الأجنبي سيقول: «على الأقل في البحرين لا نموت جوعاً». هل أيهما حر من الدّين، والاقتراض، والقلق الدائم، والخيبة؟

بعد ذلك نصادف الثالث. لعله تاجراً أم صناعياً أم مصرفياً، لا أدري، يزاول السوق إما ليبيع وإما ليشتري. يقول أانه يستطيع أن يتحكم (أقول يتحكم لئلا نخلط ما بين ما يسميه ماركس مداخيل الرأسمالي ورأسماله)، بما يقارب 7 مليون ونصف دينار بشكل سنوي ليصرفها على نفسه وأسرته وعلى الوسائل الاستهلاكية المترفة والضرورية. لكنه سرعان ما سيشعر بهول الفرق بينه وبين الاثنين اللذين سبقاه وقد يقول: «لكن لي مصاريفي الخاصة ايضاً! فعلاً إنها 7 مليون ونصف؛ لكن ألم يعلمنا كانط بأن 100 دولار في اليد ليست هي هي 100 دولار كمفهوم؟ أنتم تجردون هذه ال 7 ملايين ونصف عن مضامينها الحقيقية! أنظروا إلى الرابع من بعدي أنه يحصل على أضعاف ما أحصل عليه!».

هنا نصادف الرابع الذي يتحكم بدوره بما يقارب 38 مليون ديناراً. إنه أكثر هدوءاً، علينا أن نقرّ، أكثر عقلانية متجاوزاً كانطية صديقه فيقول: «7 ملايين أو 38 مليون، إنها أرقامٌ تجريدية! ألم يعلمنا هيغل بأن التجريد النظري هو ألا ترى في المجرم سوى أنه مجرم؟ أليست ثمة تحديدات أكثر عمقاً وراء ملكيتي لهكذا ثروة؟ ألم أعمل واشقى واسعى ليلاً نهاراً من أجل هكذا ثروة؟».

نقدّر التدخل الفلسفي لصديقنا الرأسمالي! لكن الجماهير نبضها الحياة لا الأفكار الجامدة هذه. أنتم تعلمون سلفاً بأن نصيب كل فرد في المساهمة الضريبية هو 322، ايّ نصيب متساوٍ؛ ولكن ليس لكل فرد دخل متساوٍ. ستشكل، إذن، في هذا المشهد، نسبة الضرائب غير المباشرة بالنسبة إلى مدخول العامل البحريني 5٪؛ بينما على العامل الأجنبي 14٪؛ الرأسمالي الأول 0.004٪؛ الرأسمالي الثاني 0.0008٪. هذا يعني بأنه بينما يساهم العامل أو الموظف البحريني 5٪ من مدخوله السنوي، والعامل أو الموظف غير- البحريني 14٪، للإيرادات الكلية لضريبة القيمة المضافة، فأن مليونيراتنا لا تساهم إلا بما هو أقل من 1٪ مقارنة بما تملكه من ثروات.

لنسأل أنفسنا: لماذا يتحمل أولئك الذين يتحكمون بأقل أو بما يساوي 15٪ من الثروة الخاصة في البحرين العبء الأكبر من الضريبة، بينما أولئك الذين يتحكمون بما يقارب 85٪ من هذه الثروة يتحملون العبء الأقل منها؟ مهما حاول الصحافيون التغني بالأخوة الوطنية، إلا إن الواقع يثبت بأن الرأسماليين أنفسهم لا يعترفون بهذه الأخوة فإنها لا تعدو كونها شعاراً واهياً. إن العامل البحريني، بهذا المعنى، أقرب في أخوته للعامل الوافد والأجنبي مما في أخوته للرأسمالي البحريني؛ إذ الأخير يستغلهما كلاهما معاً.

هكذا، إذا طالبنا بتقديم ضريبة تصاعدية على الدخل سنكون قد حملنا الرأسماليين عبء ضريبة القيمة المضافة بدلاً من الطبقات الشعبية. تخيّلوا لو رجعنا إلى المشهد الخيالي وفرضنا، على العكس، على الرأسمالي الثاني (بمدخول 38 مليون دينار) ضريبة على الدخل تصل إلى 14٪، فأنه بذلك سيكون قد ساهم بما يقارب 5.3 مليون دينار لإيرادات القيمة المضافة. وإذا فرضنا على الرأسمالي الأول (صاحب 7 مليون ونصف دينار) ضريبة تصل إلى 10٪ فإنه سيكون قد ساهم بـ 750 ألف دينار لإيرادات القيمة المضافة. بينما العامل البحريني والأجنبي قد يدفعان ضريبة تصل إلى 1-2٪ فقط، ايّ 22 إلى 27 دينار سنوياً فقط (أو ما يقارب 2 دينار شهرياً فقط، مقارنة بـ 27 دينار شهرياً كما هو الحال الآن).

تعني الضريبة التصاعدية بأنه كلما ارتفع مدخول الفرد ارتفعت معه قيمة الضريبة التي عليه أن يسددها للدولة. أنا لا أغضّ النظر هنا عن الشرائح الأخرى من الطبقات الشعبية التي لها مدخول ميسور، لنقل 800 إلى 1000 دينار، ولا اتغاضى عن حقيقة أن هذه الشرائح أيضاً تعاني من القروض، والديون، والمصروفات الهائلة، إلخ. لنفترض بأن ضريبة الدخل المفروضة على هذه الشريحة هي 5٪، سيعني ذلك بأن عليها أن تسدد ضريبة سنوية بمقدار 600 دينار (أو 50 دينار شهرياً)؛ وهذا لا يعدّ شيئاً يذكر أمام المدخول السنوي، إذ إنه بالإمكان تسديد هكذا مبلغ. دعنا لا ننسى بأنه على الرغم من أن هذه الشرائح ستدفع ضرائب أعلى بقليل، إلا إنها ستكون أمام سلع أرخص من قبل (حيث أن إلغاء القيمة المضافة سيعني إلغاء كل أشكال الضرائب غير المباشرة). كما الفائدة الاجتماعية وراء تطبيق الضرائب على المليونيريات سيرجع لمثل هذه الشرائح إذ إن المجتمع أصبح يغطي عجزه لنفسه. طبعاً هذا في الحالة المثالية التي تخلو مما نسمعه يومياً من «اختفاء» مفاجئ لأموال صناديق التأمينات الاجتماعية والتقارير المخيفة للرقابة المالية!

لماذا علينا معارضة الضريبة غير المباشرة، مثل ضريبة القيمة المضافة؟ الضريبة غير المباشرة لا تبين للطبقات الشعبية كيف تُدفع الضريبة سوى بأنها مفروضة بشكل تجريدي؛ إذ أنها متضمنة في سعر السلعة كما هي معروضة في السوق. فالسلعة حين تنتج، ايّ قبل أن تدخل السوق، تختزن قيمة معينة لا تظهر إلا بشكل سعر- الإنتاج (وهذا السعر هو نتاج سعر- التكلفة زائداً المعدل العام للربح). بعدها يدخل في قيمة مثل سعر-الإنتاج جزءاً من سعر- التكلفة التجارية (البيع بالجملة، البيع بالتجزئة، ايّ أسعار التخزين والنقل؛ في حدود أن هذه «الخدمات» لا تعدّ ضمن عملية-الإنتاج). بعدها تخضع السلعة إلى تقلبات العرض والطلب في السوق، وهكذا يكتسب سعر الإنتاج

شكله الملموس اليومي كقيمة – السوق وكسعر– السوق. لكن مع الضريبة غير المباشرة، نجد بأن المجموع الكلي للضريبة يتوزع في كل مرحلة من هذه المراحل (4).

حين يدفع المستهلك قيمة السلعة زائداً قيمة الضريبة المضافة، فإنه لا يسدد 5٪ المفروضة على السعر النهائي للسلعة وحسب، بل تلك المفروضة على كل مراحل الإنتاج والتدوير. زد إلى ذلك حقيقة أنه يسدد ايضاً هذا الهامش الذي يؤمن الرأسماليون لنفسهم إياه (وهو يتفاقم مع الضريبة). يسدد المستهلك قيمة التغيرات التي تفرضها تحدثها ضريبة القيمة المضافة في سعر– الإنتاج وسعر– السوق في مثل الوقت؛ دون أن يدري متى تؤثر الأولى على الثانية، والعكس بالعكس.

لهذا السبب على الطبقات الشعبية أن تتوحد في ندائها: «دعوا الأثرياء يسددوا الضريبة!».

إن الضريبة المباشرة تعظم من قدرتها على التحكم بأوضاعها مقارنة بالضريبة غير المباشرة التي تساهم في تجهيل وتلغيز الأمور وتفقير الطبقات الشعبية (5). إن هذا المطلب يقوي من وحدتها الطبقية، رغم أنه – أي هذا المطلب – بحد ذاته ليس اشتراكياً، بل بورجوازي. لكن الفرق يكمن: يطالب به البورجوازيون الصغار في حدود أنهم يطالبون بتحقيق «التوزيع العادل للثروات» (عبارة ليست لها أي صلة بالمبادئ الاشتراكية العلمية)، أما إذا حمله الاشتراكيون فإنهم لا يفصلوه عن استنتاجاته النهائية إذ حتماً سيصلون إلى التجريد الكلي للرأسماليين من وسائل إنتاجهم. لا يستطيع أن يتقدم الاشتراكيون بهذا المطلب في برنامجهم دون ربطه بضرورة تقويض الرأسمالية. أما البورجوازيون فإنهم يقفون عنده في حدود «إصلاحيته»، ناقصاً كل استنتاجاته النهائية.

إذن، يحمل هذا المطلب المصغر الذي يعمل ضمن إطار بورجوازي المطلب النهائي الأعظم وهو: تشريك الوسائل الإنتاجية عبر تجريد الرأسماليين من الوسائل الإنتاجية.

لهذا السبب على الاشتراكيين أن يتبنوا هذا المطلب في دعوتهم الاشتراكية، ايّ نحو: «إلغاء كل شكل من الضرائب غير المباشرة على الشعب وتحميل الأثرياء العبء الضريبي، وذلك عبر تطبيق صارم لسياسة الضريبة التصاعدية على الدخل وإلغاء ضريبة القيمة المضافة والضريبة الانتقائية.»

الهوامش:

((1): مثلاً كتبتُ في مقالي (العمالة الوافدة في أزمة كورونا) بشكل نسقي جداً: «افترضُ بأن شكل إقتران عناصر نمط الإنتاج الرأسمالي في البلدان الكولونيالية ... هو مميز نوعياً عن شكل إقتران نمط الإنتاج الرأسمالي في البلدان التي أصبحت امبريالية. إقتران مميز سمح لتسيد العلاقات الإنتاجية الرأسمالية فيها في حقبة مميزة جداً من الرأسمالية؛ مرحلة الصناعة التبعية، ولما كنت افرق، تبعاً لماركس، ما بين الافتراضات–المسبقة المنطقية voraussetzung والافتراضات–المسبقة التاريخية historische Bedingungen، فإنني بطبيعة الحالة لا افترض الظروف التاريخية العرضية في المفهوم المنطقي لمفهوم رأس المال الكولونيالي؛ أنه يتضمن هذه الظروف، أو الافتراضات، التاريخية كأمر واقع في مفهومه. على ذلك أفهمُ بأن رأس المال الكولونيالي يتميز مفهومياً بأنه يتضمن إتجاهين متعارضين ذا معدلين تراكمين... غير متكافئين: إتجاه كومبرادوري (وفي ذلك أعني رأس المال التبعي الذي تكون دورة إنتاجه، وبالتالي قيمته الزائدة، تابعة بشكل مذيل لرأس المال الامبريالي) وإتجاه محلي (وفي ذلك أعني رأس المال الذي تكون دورة إنتاجه، وبالتالي قيمته الزائدة، محلية). ولأن هذا التعارض الداخلي دائماً حاضراً، بمعزل عن الظروف التاريخية الملموسة، فإنني افترض بأن رأس المال الكولونيالي يتميز بالتوسع المحدود داخل بنيته الاجتماعية وخارجها (على العكس من توسع رأس المال الامبريالي غير المحدود)".

عقيل، هشام. العمالة الوافدة في أزمة كورونا. المنبر التقدمي
: https://www.altaqadomi.org/?p=8837

(2): الثروة العالمية 2020: أصحاب الملايين يستحوذون على 68.8٪ من الثروة في البحرين في عام 2019. صحيفة الأيام
: https://www.alayam.com/online/Economy/865131/News.html

(3): بلا شك الأرقام ليست دقيقة بالمطلق بل تقريبية واستعراضية. الأرقام تقدّر بأن مجموع الثروات الخاصة في البحرين يبلغ 20 مليار دينار، وإذا جابهنا هذا الرقم بما يُمكن تقديره بشكل عام وتجريدي لمداخيل الشعب العامل (ايّ، إذا ضربنا الأجر السنوي العام للعامل الأجنبي بعدد العمال الأجانب، وضربنا الأجر السنوي العام للعامل البحريني بعدد العمال البحرينيين وجمعنا العددين معاً) بـ 2.7 مليار دينار. أنا متأكد بأنه ما إذا توفرت أرقام حقيقية ونزيهة لأوضاع الناس، سنجد بأن ما يتحكم به الشعب العامل فعلاً يقل عن 10٪. لكن هذه الحدود التقريبية التي يُمكنني عرضها لأغراض استعراضية بحتة لا إمبريقية.

(4): مثلاً، جزءٌ منها يحسب على سعر– الإنتاج وجزءٌ آخر على سعر– الإنتاج زائداً السعر– التجاري. لنفترض بأن سعر– الإنتاج، ايّ قيمة السلعة مباشرة بعد إنتاجها في المصنع، يساوي 40 ديناراً. تباع هذه السلعة للموزع الذي في العادة سيسدد 40 ديناراً، ولكن مع تطبيق الضريبة سيكون عليه أن يسدد 5٪ إضافية، ايّ ما قيمته 42. هذه الأخيرة تكون سعر البيع. سيكون على الرأسمالي الصناعي أن يسلم الدينارين إلى الحكومة لتدخل ضمن إيرادات القيمة المضافة. الآن ليؤمن الموزع لنفسه هامش ربح لنقل إنه وضع هامشاً بنسبة 100٪، ايّ سيكون سعر السلعة 80 ديناراً. هكذا، حين يبيع السلعة لبائع بالتجزئة سيضيف إليها القيمة المضافة، ايّ سيبيعها بمقدار 84 ديناراً. دعنا لا ننسى بأن الضريبة المفروضة على الموزع يمكن حسبها عبر خصم الضريبة التي دفعها حين اشترى السلعة من المصنع، ايّ دينارين، والضريبة التي سيتحصلها من بيعه مثل السلعة لبائع التجزئة، ايّ 4 دينانير. إذن، يكون نصيب الحكومة هو ديناران. أخيراً، تكون السلعة الآن في يد بائع التجزئة، وهو بدوره بحاجة ليؤمن لنفسه هامشاً للربح، ولنقل بإن هذا الهامش هو 50٪ من قيمة السلعة التي اشتراها، بالتالي سيكون سعر السلعة 120 ديناراً. ولكي يعرضها للسوق للمستهلك العادي سيضطر أن يبيعها بـ 126، ويسدد للحكومة دينارين. إذن، مجموع إيرادات الحكومة 6 دنانير من العملية كلها.

(5): كتب ماركس في (إرشادات لممثلي المجلس العام الانتقالي لجمعية العمال الأممية): "مهما أصلحنا الشكل الضريبي فإنه لن يحدث أي تغيير مهم في علاقة رأس المال بالعمل. لكن إن كنا مخيرين بين نظامين من الضريبة فنحن نقترح الإلغاء الكلي للضرائب غير المباشرة واستبدالها بالضرائب المباشرة. وذلك لأن الضرائب غير المباشرة تعظم من أسعار السلع؛ حيث سيضطر التجار أن يضيفوا الفائدة والربح على رأس المال بالإضافة إلى مقدار الضريبة غير المباشرة. كما أن الضرائب غير المباشرة تصبح مصدر تلغيز إذ إن الفرد يجهل ما يسدده بالضبط للدولة، بينما الضريبة المباشرة غير ملغزة، غير مبهمة، يُمكن للكل أن يفهمها بلا صعوبة. تساهم الضريبة المباشرة في تمكين الأفراد من التحكم بالسلطة بينما الضريبة غير المباشرة تدمر كل نزعة نحو الحكم–الذاتي.»

Marx، Karl. Instructions for the Delegates of the Provisional General Council. Marxists Internet Archive.

تحوّلات المدينة الخليجية

المدينة الخليجية، من حيث هي الجسم العمراني والسكاني الأساسي لدول الخليج ما زالت تبدو غير مكتملة، وفي طور النمو والتوسع، وهذه الملاحظة يمكن تعميمها، فهي في العمق الاجتماعي ليست أقل بروزاً، بل إنها هنا بالذات أكثر حدةً وأبلغ في النتائج.

ويظهر ذلك، أشد ما يظهر، في الازدواجية العميقة للقيم وأنساق الثقافة ومظاهر الوعي الاجتماعي، فمن جهة تخترق مظاهر العولمة ثقافياً وعمرانياً البنى والمظاهر التقليدية في مجتمعاتنا، وتنشأ مدن حديثة تُضاهي المدن الأمريكية أو الأوروبية، لكن خلف هذه المظاهر الجذابة والأنيقة تختفي مظاهر من الكسل والركود في أشكال الوعي.

رغم أن التكنولوجيا الحديثة إذ تدخل مجتمعاً ما فإنها لا تفعل ذلك بصورة محايدة، إنما هي تحمل معها مؤثرات مهمة تمسُّ الوعي، وهذا يحدث فعلاً بنسب متفاوتة في بلداننا الخليجية، لكن الكثير من "الوعي" الذي ينشأ عندنا بحكم ذلك هو وعي مُشوّه لأنه يريد التشبه بمظاهر الحياة الحديثة ويزعم في الوقت نفسه تمسّكه بمنظومة القيم الموروثة .

صحيح أن التطور الصحي للمجتمعات لا يمكن أن يقوم على قطيعة مع الماضي، إنما عبر تمثل العناصر الإيجابية في هذا الماضي، وإدماجها بروح خلاقة في ثقافة ووعي الحاضر، بيد أن الوعي المُشوّه الذي يتشكّل الآن يعيد إنتاج أشد العناصر سلبية ومحافظة في ثقافة الماضي، ويكسبها رداء عصرياً، فينتج لنا شخصية قلقة، مضطربة، ميالة للسهولة والمظهرية الفارغة والاستعلاء، دون أن يخفي كل ذلك أوجه الهشاشة والضعف.

ليس هذا النوع من الاضطراب أو القلق بين التحديث والتقليد حالة خاصة بمجتمعات الخليج، غير أن هذه الظاهرة تكتسب طابعاً أكثر حدة لعوامل عدة بينها نمط الاستهلاك الترفي والبذخ الذي ارتفع إلى مستوى القيمة التي تقدر بها منزلة المرء ومكانته الاجتماعية، وبينها أيضا النمو أو "التحضّر الفوري السريع" كما دعاه أحد الباحثين الذي لم ينبت في بيئته بشكل تدريجي، بقدر ما جرى استجلابه من خارجها

كنا نفترض أن هذه مظاهر مرحلة انتقالية، بعدها ستنتقل مجتمعاتنا إلى حالة من التوازن النفسي والاجتماعي والتنموي، لكن ما يقلق أن هذه الحال "المؤقتة" أخذت تنتج آليات استمراريتها التي قد تطول، وأكثر من ذلك تنشئ وتعمم القيم وأنساق الثقافة الخاصة بها.

ويجري الإعلاء من هذه الأنساق المشوّهة وتعميمها وتقدّم كبديل للثقافة في أنماطها الرفيعة، وإغفال مستلزمات التنمية الثقافيةً والبشرية الحقّة التي تتطلب تدريب مهارات التلقي الثقافي، وتربية الإنسان بروح العمل ونبذ الاتكالية .

م.ح

ما بعد نضوب النفط

ذات مرة استشهد اقتصادي خليجي في مقالة له بتقرير حديث يشير إلى أن الولايات المتحدة قد تصبح من الدول المصدرة للنفط قريباً، وأن مخزون الدول الغربية من النفط في ازدياد، إضافة إلى الأبحاث التي تهدف إلى تقليل استخدام الطاقة والبدائل المتاحة، وهذا ينذر بأن يكون العالم 2030 مختلفاً كلياً عن عالم اليوم في اعتماده على النفط، ولن تكون الأسعار والقدرة على التحكم فيها كما هما الآن، وحين يدور الحديث عن بلدان الخليج، فإن مخزون النفط في معظمها آيل إلى التناقص، ومع رجحان التذبذب في أسعار النفط، فإن دول المنطقة ستعاني عجوزات في ميزانيتها.

ولأن الطابع الفتي هو السمة الغالبة على التركيبة السكانية لمجتمعات الخليج، حيث يبلغ الشباب نحو 60٪ من السكان، فإن الدول الخليجية تخفق في توفير الوظائف للأعداد الكبيرة من الشباب الذين يدخلون سوق العمل سنوياً، أخذاً بعين الاعتبار ضعف مناهج التعليم وقصورها، وعجزها عن مواكبة التحولات الهيكلية في اقتصادات هذه البلدان.

وحسب دراسة لمؤسسة الخليج للاستثمار فإن نسبة البطالة في صفوف الشباب ببعض دول الخليج وصلت إلى 30٪، حيث لا يحصل شاب من بين كل أربعة شبان على فرصة عمل، وهذا مؤشر إلى التحديات التي تواجه دولنا الخليجية لا في الراهن فقط، وإنما في الأفق المنظور أيضاً، فضلاً عن غير المنظور.

كثيرة هي الدراسات التي كتبت عن النفط وآثاره، والتي ذهب بعض واضعيها إلى القول إن النفط، رغم أنه نعمة بما وفره ويوفره من مستوى معيشي مستقر وعال في الكثير من الحالات، لكنه غالباً ما يتحول إلى نقمة، حين تشجع عائداته الدول النفطية على تجنب أو تأجيل الإصلاحات البنيوية المطلوبة في الهياكل الاقتصادية والبنى المجتمعية والإدارية، بينما تحجب العائدات الضخمة المشكلات الكثيرة والخطرة التي تعانيها اقتصادات هذه الدول، ويشير باحثون جادون في قضايا النفط وفي دراسات الاقتصاد السياسي، إلى أن بعض الدول المستفيدة من الفورة النفطية في مطلع السبعينات، أخفقت في الاستفادة من الزيادات المتعاظمة في عائدات النفط للتهيؤ لاستحقاقات المستقبل ما بعد نضوب النفط، أو تراجع أهميته إذا ما توافرت بدائل للطاقة غيره. ليس عبثاً أن مؤلفة كتاب "مخاطر الدولة النفطية"، ومن خلال دراسة تجارب دول نفطية أخرى في أمريكا اللاتينية، على سبيل المثال، تصل إلى خلاصة قابلة للتطبيق على الدولة القائمة على الريع النفطي فحواها أن الشراكة مع مؤسسات المجتمع المدني يمكن أن تؤمن أفضليات واضحة للصمود بوجه الأزمات الاقتصادية، وتتيح ترتيبات للعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص بصورة أفضل، وتهيئ استعدادات أكثر كفاءة للمستقبل.

أيها الفاسدون .. مكانكم محفوظ

لماذا عندما تتأزم أوضاع اي بلد عربي، او غير عربي، ويكون على حافة انهيار اقتصادى، وتتدهور أوضاع مواطنيه المعيشية، وتكتسحه احتجاجات شعبية عارمة، نجد قاسماً مشتركاً يفرض نفسه تعبر عنه الشعارات التى ترفع والداعية الى العدالة الاجتماعية، والتصدى للبطالة، ومحاربة الفساد والسرقات والمطالبة بمحاكمة الفاسدين والسارقين، ووضع الأمور فى نصابها الصحيح بإبطال فعل ومفعول الفساد، قبل القفز من شغير الهاوية الى أعماقها!

خليل يوسف

فى هذه البلدان، الواقع الفاسد ضارب بأطنابه فى كل أمر وشأن، له تاريخ طويل وحافل، وفى ظل هذا الواقع بات الفساد كما لو انه حاجة وطنية جامعة، أو شرّ لا بد منه، صحيح أن الفساد بكل تجلياته ليس حكراً على المجتمعات العربية، ولكن خارج هذه المجتمعات تجد الآليات والأجهزة التى ترصد وتتابع وتساءل وتحاسب وتخرج بنتائج، هناك لا يجعلون حربهم حرباً شكلية على الفساد، ولا يطلقونها لخدمة أهداف سياسية او للتغطية على فشل هنا او هناك، بل يضعون الضوابط التى تحول دون توغل الفاسدين فى مفاصل الدولة، والأمن، والقضاء، والبرلمان، وتتضافر الجهود الرسمية مع جهود المجتمع المدنى لخوض الحرب على الفاسدين.

وفى بعض تلك المجتمعات نجد فيها منظومة متكاملة تعنى بالتصدي للفساد وتتابع أداء البرلمانيين وتراقب نزاهتهم البرلمانية وتكشف اي تكسب شخصي من وراء عملهم البرلماني، ومن ضمن هذه المنظومة انشاء هيئة مستقلة لمكافحة الفساد، وللعلم والتذكير فى آن واحد مشروع انشاء مثل هذه الهيئة كان ولازال حبيس أدراج المجلس النيابي منذ عام 2007، وقد عرض على المجلس فى اكثر من فصل تشريعى، ووجدنا نواباً يرفضونه بذريعة عدم الحاجة اليه – تصوروا – ونواباً تفننوا بجعله مشروعاً فى مكانه يراوح وبتواقيع معروفة وكأن هناك من يعوّق او يعرقل أي خطوة تحجّم الفساد.

نعود الى منطقتنا العربية، فى نطاقها تابعنا ولا زلنا نتابع ما يحدث فى لبنان والعراق وقبلهما فى تونس والجزائر، وكيف رفعت شعارات معبّرة تتوجه الى أرباب الفساد، من نوع "طلعت ريحتكم" ، و"كلكن يعنى كلكن" فى لبنان، وعلينا أن نلاحظ أن الشعار انطلق من بلد يضم 18 طائفة، وهذا يعنى أن ملف الفساد تجاوز التباينات الطائفية بين المتظاهرين ووحّد اللبنانيين، هناك شعارات اخرى مكتملة فى المعنى والهدف مثل "يا فاسد اطلع بره"، و"كلا .. كلا للفساد .. نعم .. نعم للإصلاح"، "اقلعوا الفاسدين من الجذور" فى العراق، و"ما نيش مسامح"، و"كنس السلالم يبدأ من الأعلى" فى تونس، وشعارات مثل "انقلعوا كلكم" وقيل انه شعار مستوحى من ذلك الشعار اللبناني، هناك ايضاً شعارات "حرروا البلد من اللصوص"، و"يا قضاة عليكم بالطغاة" وغيرها من الشعارات التى رفعت فى الحراك الجزائري.

> لم يكن غريبا أن مَن هم وراء صناعة الفساد، يقدّمون انفسهم كمحاربين له، وبينهم من يمثلون شعوبهم في مجالس نيابية

> المعركة ضد الفساد المحمى والمخفي وحتى المرئي، كانت وستظل اكبر وأعقد وأشرس مما نظن

نأتي إلى ما جرى ويجرى فى الزمان والمكان، فى لبنان والعراق والجزائر وتونس وبلدان اخرى، حيث صار بوسع المرء أن يلمس كثرة الحديث، وكثرة الوقائع المتصلة بالفساد والرشوة والتكسب غير المشروع. فى لبنان، كمثال، وجدنا مطالبات شعبية ترفع شعارات تدعو إلى لجم الفساد مواجهة فيروس الفساد وحماته والضالعين فيه ومن جعلوه يعشعش ويسرح ويمرح فى كل شأن ومجال وميدان، ووجدنا سياسيون يعلنون: "سنجعل هدف محاربة الفساد وملاحقة الفاسدين أيًا كانوا من أهم الأولويات التى يجب ان تسهر عليها الدولة لإنقاذ البلاد من أزماتها الخانقة "، ووجدنا من يشكك ليس فى ذلك الكلام فحسب بل فى كل الشعارات التى تتبنى هدف محاربة الفساد، والتشكيك فى صدقية من لا يتوقف سيل تهديدهم بمحاربة الفساد، ومساءلة الفاسدين ومحاكمتهم، بل وجدنا من يعلن بان ليس من نهاية للفساد، والخلافات بين اهل السياسة ليست على الفساد، بل على الحصة فيه ، وهو لم يعد فضيحة أبداً ، مهما تطاول عليه "رعاع" الأخلاق والقيم، كونه اصبح اسلوب حياة، و"قيمة" ذات ركائز متينة الى درجة تحويل المقاومين للفساد فى كثير من الحالات الى متهمين!

فى العراق كمثال آخر، نجد نفس المشهد تقريباً، كل مظاهر الرفض والاحتجاج للفساد كانت ولازالت حاضرة وبقوة ، الكل يطالب بإنقاذ البلد وبمطاردة الفساد وأهله وصحبه وحماته والمختبئين خلفه، فيما الواقع يكشف عن وقائع صادمة، وجدنا من هم معنيون بمحاربة الفساد متهمون بالفساد، وكان صادماً ان يظهر نائباً عراقياً قبل سنوات قليلة وعبر شاشة التليفزيون فى مشهد لا يزال صداه يدوى وهو يقرّ ويعترف بمنتهى الصراحة والوضوح ليس بفساده فحسب، بل بفساد من حوله من برلمانيين وسياسيين ورجال دين، وكثر ممن اشتركوا فى جوقة هجاء الفساد ،كلهم مارسوا الفساد بمواصفات عالية الجودة والوضوح، ومن حولهم إما شريك معهم، او متواطئ معهم، او يخاف منهم، او عاجز أمامهم.

ذلك قليل من كثير .. والكثير يصل بنا إلى جوهر المشكلة – المعضلة – المأساة التى تجعل الفساد باقٍ على عرشه، مطمئن إلى ديمومته وبكل بجاحة ووقاحة، الكل يواجه، ليس فى البلدين المذكورين فحسب، بل فى معظم بلداننا العربية، وهى أن المعارك ضد الفساد لم تكن نزيهة بالكامل، أحياناً تكون معارك تصفية حسابات، وأحياناً صراع إرادات، أو تبييض صفحات، أو حروب فاسدين ضد فاسدين.

لذلك لم يكن غريباً أن نجد من هم وراء صناعة الفساد وهم يقدمون أنفسهم كمحاربين للفساد، وتجد من يمثلون شعوبهم فى مجالس نيابية، وأول من يفترض انهم يتصدون للفساد وقد اصبحوا جزءاً لا يستهان به من منظومة الفساد،

وعندما يصبح الفساد شاملاً وعاماً وينمو ويترعرع كميكروب فى اي بلد، وتصبح المناصب والوظائف من الأصول الثمينة، يتوسع الطلب عليها بذريعة المحاصصة، وتنشأ سوق نشطة لمناصب الدولة تدّر ايرادات، وتخلق مناصباً، ويصبح لكل منصب ثمن يناسب المكانة الوظيفة، أو تخلق مناصب للأتباع ومن يراد تنفيعه من الطائفة أو المحاسيب أاو الأزلام، وحين تمنح مزايا غير مستحقة فى مشاريع ضخمة، وتتعدد مزاريب الهدر التى لا تنتهي والتى يبدو أنها تضاعفت فى ظل جائحة كورونا التى اعتبرها البعض بأنها شكلت ضربة حظ للفاسدين النافذين الذين توسعوا أكثر وأكثر عبر شبكات اخطبوطية جعلتهم يواصلون مهام انحرافاتهم فى التزوير والغش والاختلاس وتهريب الأموال والصفقات المشبوهة، ومن هؤلاء من أثبتوا براعتهم فى تحويل أزمة كورونا الى فرصة !

أمر آخر سئ، بل مفجع حين يحوّل البعض حربه على الفساد إلى حرب على الخصوم السياسيين وتكون الشعوب أمام واقع تتغلغل داخله لوبيات وشبكات فساد تُبيّض المخالفات والسرقات والمصالح الغير قانونية، وتنجح فى اختراق مؤسسات تشريعية وحكومية ورقابية وأمنية، وفاسدين معروفين يشار لهم بالبنان بالأسماء والمواقع والوقائع، حينها نكون وللأسف امام مهام تشبه المستحيل، لا تختلف عن مهمة دون كيشوت فى محاربة طواحين الهواء.

لنعلم، ونتذكر، ونذكر، أن بلدنا وبلداناً عربية كثيرة عانت ولا تزال تعانى من الفساد بكل أنواعه وأشكاله وأحجامه ومستوياته، فساد يروّج لخدماته بكل الوسائل والأساليب، ويقر الجميع بوجوده وتفشيه، وللفساد فى عالمنا العربى تاريخ طويل وحافل، وبات واضحاً ان المعركة ضد الفساد هى جزء لايتجزأ من معركة الإصلاح والتنمية، بل هى البوابة الأهم للإصلاح، فهو يعنى التمييز والظلم وعدم احترام كرامة الانسان وينتهك حقوقه، وحرمان الناس من مقومات الحياة الكريمة، ويمس التنمية الاجتماعية والاقتصادية ويزيد الفقر، ويعيق الاستثمار، ويضر بالاقتصاد، ويقوّض الديمقراطية وسيادة القانون، إلى آخره.

ما ليس مفهوماً استمرار ترك العنان للفساد بكل تجلياته ليستشرى ويتوحش فى الكثير من المجتمعات، يواجه فى احسن الحالات بشعارات وتقارير لهيئات رقابية منزوعة الدسم، ووعود تخلق حالة انطباعية، مجرد حالة انطباعية بان هناك ارادة ومحاربة فعلية للفساد، وقمة المأساة حين يقف من يشكلون أساس العّلة بمظهر المحاربين للفساد، قد نجد من يتراشق مع آخرين تهم الفساد، ونكتشف ان هذا التراشق هو نوع من المناكفة السياسية، او مباراة لاستدرار المزيد من الفساد، وهـؤلاء نفّسهم طويل، وقادرين على التلون الحربائي، والتأقلم السريع مع كل الأجواء، وقد نجد منهم من يعاقب من يمارس الفساد فقط لأنه يتم دون علمه او خارج عن ارادته او لعدم إشراكه فى عوائد الفساد، وكم هو بالغ فى الدلالة والمعنى والأسى حين تكون اي حركة ضد الفساد محاولة لتبييض صفحات فاسدين، او صراع على ادارة الفساد.

كم هو بالغ الألم والسوء حين يسعى البعض الى إيهام الناس بان كثرة الحديث عن الفساد كماً ونوعاً يسئ الى سمعة البلد والى مناخ الاستثمار وينفّر المستثمرين ويضر بالتنمية والاقتصاد، وأن الفساد شر لابد منه، والطريف والعجيب والمؤلم ان نجد من ذهب إلى القول إن الفساد حاجة وطنية جامعة وهو مطلوب بشرط تنظيمه وتوسيع قاعدة المستفيدين منه، وكأنهم يدعون الى ممارسة الفساد بعدالة وجعل كل شئ قائم على الفساد والإفساد، ومحاربة الفساد بالفساد، وكأن الفساد كنز لا يفنى، إلى هذه الدرجة من الجرأة والوقاحة وصلنا، وقصة النائب العراقى إياه الذى اعترف علناً بفساد الكل لا تنسي، فهى تؤكد على ذلك وبأن مقامات الفاسدين محفوظة.

المعركة ضد الفساد، المحمى والمخفي وحتى المرئي، كانت وستظل اكبر وأعقد وأشرس مما نظن، وأسوأ وأخطر ما فى موضوع الفساد ان يكون شعار محاربة الفساد، فارغ من الأهداف، ضجيج كلام وصراخ فى مناخ الفساد الطلق وكأن ليس له من نهاية، تبقى المراهنة على ان المعركة ضد الفساد ليست مستحيلة، فقط اذا توفرت الإرادة والعزم .

أسباب الفساد وتبعاته

جواد المرخي

الفساد المالي والاداري ظاهرة عالمية، ولكن هناك دول تحارب مكامن الفساد لخطورتها على المجتمعات في كل المجالات، ونعني بها الدول التي توجد لديها قوانين فاعلة لمحاربة بؤر الفساد وتقديم الفاسدين للعدالة مهما كان شأنهم ومراكزهم السياسية، إلا إننا في الوطن العربي نرى بأن ظاهرة الفساد تنمو وترهق ميزانيات دولنا وتزيد من مديونيتها دون محاسبة أو ردع للفاسدين من سرّاق المال العام.

لقد ناضل الشرفاء بكافة اهتماماتهم وتخصصاتهم ضد هيمنة الفساد على مدار عقود، ومنهم من نال العقاب على يد الفاسدين وأعوانهم في سدّة القرار السياسي، فالفساد لا ينشأ ويتفشى لولا إن هناك حواضن تؤمن للفاسدين الحصانة في عدم الملاحقة القضائية، وهذه الحواضن لها نفوذ في سدّة القرار السياسي والاقتصادي.

كما أن سياسات القوى الفاسدة تعمل على خلق ثغرات وفرص للتلاعب بالمال أينما كان، في ظل الانتهاكات للقوانين والدساتير والإخلال بتأدية الواجب الوطني وبأسس الامانة والنزاهة، فالفاسدون بطبعهم انتهازيون ولديهم ميول الجشع ضاربين عرض الحائط بالمعتقدات والدين والقيم التي يتشدقون بها، متوسلين طرقاً عديدة منها تشجيع الوساطات وقبول الرشاوي والتوظيف بالمحسوبية والطائفية من القمة للقاعدة.

وفيما الإنسان العربي بحاجة للتعليم والخدمات الطبية والإسكانية وفرص التوظيف، في ظل وجود الإمكانيات الهائلة في أوطاننا، ومنها الثروات النفطية والغاز وغيرها من الثروات الطبيعية، فإن السياسات الفاسدة وهيمنة الفاسدين على الثروات، تهوى بأوضاعنا للفقر المدقع.

أدان المنبر التقدمي في بيان صدر له في مارس الماضي ما أعلن عنه رئيس مجلس ادارة التأمينات الاجتماعية من النية في اتخاذ الاجراءات القانونية ضد مجموعة من النواب الذين قد حاولوا بضمير كشف الصفقات الخاسرة في التأمينات الاجتماعية جراء الفساد المالي والإداري، وهذا يكشف عن التمادي في تكميم الأفواه، بما في ذلك أفواه نواب الشعب، الذين يحاولون التصدي لنهب المال العام، فضلاً عن التضييق على حرية الصحافة وحرية الرأي والتعبير لقوى المجتمع المدني.

إن مخاطر تفشي ظاهرة الفساد المالي والإداري لها سلبيات كبيرة وخطيرة في وسط المجتمعات العربية منها زيادة معاناة الشعوب جراء المشاكل العويصة مع تدني الخدمات المعيشية والاجتماعية، ومع الفساد لا يمكن أن تبنى حياة كريمة للشعوب العربية التي أصبحت في الغالبية تعيش على الهامش، حتى أن هناك من يقتات من صناديق القمامة ويسكن تحت الانقاض والمخيمات والملاجئ في ظل محاربة القوى السياسية الوطنية الفاعلة التي تعارض سياسة إفقار الشعوب العربية، خاصة في الدول التي ليس فيها استقرار سياسي، وتعاني من بطش أنظمة عسكرية أو دكتاتورية التي تُغيّب فيها أسس المشاركة الشعبية والقرار الديمقراطي الحقيقي.

تراجع التجربة البرلمانية ..... مَن المسؤول؟

المحامي حسن إسماعيل

لم يكن دستور ٢٠٠٢ ، حين صدوره ينص على حق أعضاء مجلس النواب في طرح موضوع عام للمناقشة كوسيلة من وسائل الرقابة على أعمال الحكومة، وهو من الحقوق التي كان دستور ١٩٧٣ قد نصّ عليها وسلبها الدستور الجديد، غير أن التعديلات التي أدخلت على الدستور عام ٢٠١٢ أعادت هذا الحق في المادة (٦٨ البند ب) فأجازت بناءً على طلب موقع من خمسة أعضاء على الأقل من مجلس النواب، طرح موضوع عام للمناقشة لاستيضاح سياسة الحكومة في شأنه، وتبادل الرأي بصدده، وفقاً للضوابط التي تحددها اللائحة الداخلية للمجلس، وقد جاءت هذه الإضافة، كما تقول المذكرة التفسيرية لتعديلات ٢٠١٢ في إطار ما انتهت إليه الإرادة الشعبية في حوار التوافق الوطني من مرئيات بشأن التعديلات التي ترى إدخالها على الدستور القائم، ومنها منح دور أكبر لمجلس النواب في الرقابة.

غير أنه منذ إقرار مرئيات حوار التوافق الوطني وإصدار هذه التعديلات عام 2012 لم نجد ولم تجد الإرادة الشعبية بأنه قد تم منح مجلس النواب دوراً أكبر في الرقابة على أعمال الحكومة، بل وجدنا تراجعاً وتقييداً لهذا الدور، وللأسف أن من ساهم في هذا الانتقاص من هذا الدور الرقابي، هم أعضاء مجلس النواب وفي النظام الداخلي الخاص بالمجلس (اللائحة الداخلية).

تعديل المادة (173) من اللائحة الداخلية المتعلقة بطرح موضوع عام للمناقشة جاء من الحكومة بموجب مرسوم بقانون رقم (54) لسنة 2002، بتاريخ 3 سبتمبر 2020 أي صدر في اجـازة مجلس النواب ما بين دور الانعقاد الثاني والثالث دون أن يتوافر له شرط الاستعجال أو بتعبير الدستور تدابير لا تحتمل التأخير، واشتمل على قيود وشروط جديدة لطرح موضوع عام للمناقشة العامة وقد وافق عليه المجلس في جلسته الماضية بالطريقة التي شاهدها الجمهور وعبر عنها باستياء وتهكم.

وإذا كنا (تنفهم) أن التعديل المذكور جاء من الحكومة، فإن الذي لا يمكن تفهمه أو قبوله هو أنه رغم الايجابية النسبية التي أوجدتها التعديلات الدستورية لعام 2012 في شأن الاستجواب على أن (تجرى مناقشة الاستجواب في المجلس مالم يقرر أغلبية أعضائه مناقشته في اللجنة المختصة)، هو قيام مجلس النواب بتقييد نفسه بتعديل المادة (145) مكرراً (1) الفقرة الثالثة من اللائحة، باقتراح بقانون مقدم من بعض أعضاء المجلس في الفصل التشريعي المنصرم الذي نصّ على أنه (لا يعد الاستجواب جدياً إلا إذا وافق على ذلك ثلثا أعضاء المجلس).

وهي سابقة لا مثيل لها على الإطلاق وجاءت بالمخالفة للدستور الذي حدّد بنصوص صريحة وواضحة الحالات التي تشترط أغلبية الثلثين، فأصبحت مناقشة الاستجواب مستحيلة ليس في داخل المجلس فحسب بل في اللجنة المختصة كما جاءت في التعديلات الدستورية.

نحدد جوابنا على سؤال: من المسؤول عن تراجع الحياة النيابية، كما يلي:

إذا كان هناك ثمة إشكالية في الطريقة التي صدر بها دستور 2002 خلافا لمبادئ ميثاق العمل الوطني وفي بعض النصوص التي نصّ عليها وهي عديدة بينها ما تناوله المنبر التقدمي في «وثيقة الإصلاح الدستوري» التي نشرها في العام 2007، واشتملت على أبرز المواد الدستورية التي يتعين تعديلها وشابتها عيوب كشف عنها تجربة الفصل التشريعي الأول، فإن العلة الأكبر هي في التشريعات التي صدرت طبقاً لأحكام هذا الدستور ومذكرته التفسيرية والتعديلات التي تمت عليه، سواء كانت هذه التشريعات صدرت بأداة القانون، أو بمرسوم بقانون، او بمرسوم، إذ جاءت معظم هذه التشريعات تنتقص من الحقوق والحريات ونالت منها، ولعل أبرزها تلك المتعلقة بالنظام

الانتخابي والتي أحسبها سبباً من أسباب أخرى رئيسة لهذا التراجع في التجربة النيابية في البحرين.

فهذا النظام الانتخابي هو الذي أوصل لمجلس النواب نوابا يوافقون على تعديلات للقانون الذي ينظم عملهم تنال وتنتقص من دورهم في الرقابة على أعمال الحكومة، وهو الذي أوجد نوابا يمتنعون أو يتغيبون منعاً من الحرج ما بين الحكومة، وهموم الناخبين اللذين انتخبوهم. هذا النظام الانتخابي هو الذي اسقط الكفاءات أو جعلها تقاطع أو تمتنع عن المشاركة في التجربة البرلمانية، كفاءات وطنية تجمع بين القانون والسياسية ، تجمع بين السياسة والاقتصاد ، تجمع بين السياسة والثقافة، يعج بها مجتمع البحرين يشهد لها الداني والقاصي داخل وخارج البحرين ، وحين نقول كفاءة وطنية لا نعني أن تعبر عن حبها للبحرين وقيادتها السياسية فحسب بل وطنية بمعنى تلك التي لا تسعى كلما سنحت الفرصة لها بمدح وتبجيل صناع القرار، بل هي تلك التي تنشد إصلاحاً حقيقياً بمعالجة وانتقاد كل ما يعيق الإصلاح من فساد ومفسدين، تنشد العدالة الاجتماعية للمواطنين في العمل، في الصحة والتعليم والسكن وعند التقاعد. والتمتع بكافة حقوقهم السياسية دون انتقاص.

هذا النظام الإنتخابي جعل من الإقامة العادية سيفا مسلطاً على الكثير من المترشحين أصحاب الكفاءة وجعل من الشرطة رقيباً على المرشح لمعرفة أين ينام في مسقط رأسه أم في مكان إقامته العادية، فهذا النظام الذي يقسم مناطق البحرين إلى أربعين دائرة انتخابية ساهم إلى حد كبير في سقوط من يمتاز بالكفاءة من المرشحين لمجلس النواب، وعزز من دور العلاقات الأسرية والطائفية في اختيار المرشح.

كل ذلك جاء بالمخالفة لأحكام الدستور من أبرزها:

المادة(57/أ) من الدستور التي اشترطت في عضو مجلس النواب أن يكون اسمه مدرجاً في أحد جداول الانتخاب. غير أن مشرّع مرسوم بقانون مباشرة الحقوق السياسية اشترط في المادة الثانية الفقرة 3 من هذا القانون في كل مواطن لمباشرة الحقوق السياسية أن يكون مقيما إقامة عادية في الدائرة الانتخابية طبقاً لما هو ثابت في بطاقته السكانية في مخالفة صريحة للنص الدستوري المذكور. ونال من تكافؤ الفرص بين المواطنين التي نصت عليها المادة الرابعة من الدستور.

المادة (89/أ) التي نصت على أن عضو مجلس النواب يمثل الشعب بأسره، بمعني أنه لا يمثل دائرته بل يمثل كل مناطق البحرين التي يتعين أن تكون دائرة انتخابية فحين يقترح عضو مجلس النواب قانونا، او حين يراقب أعمال الحكومة فإنه يمارس هذه الاختصاصات ليس من أجل دائرة انتخابية بعينها بل يمارسه من أجل المواطنين جميعا أينما سكنوا في أي منطقة مناطق البحرين.

وتمتد عيوب النظام الانتخابي الذي يعد من أسباب تراجع الحياة النيابية في البحرين إلى التعديلات التي أجراها المشرع العادي عام 2006 على المادة الثالثة من قانون مباشرة الحقوق السياسية التي منعت المواطن من حق الترشح لمجلس النواب حتى وإن رُدّ إليه الاعتبار أو حصل على عفو خاص من جريمة كان قد ارتكبها.

وفي الوقت الذي كنا نتطلع فيه من مجلس النواب في فصله التشريعي الرابع المنصرم أن ينصرف إلى معالجة هذه التعديلات نجده يتقدم باقتراح بقانون يضع على القيود الموجودة في الأصل قيوداً جديدة تمنع من حق الترشيح لمجلس النواب قيادات وأعضاء الجمعيات السياسية الفعليين المنحلة بحكم نهائي، فنال ذلك من حق الاقتراع العام ومن سيادة الشعب باعتباره مصدر السلطات بل امتد إلى النيل من حقوق المواطنة وتعارض مع مبدأ شخصية العقوبة ومع المعايير الدولية والآثار المترتبة على ردّ الاعتبار والعفو الخاص من العقوبة.

لم يبق من وسائل الرقابة البرلمانية سوى الإقتراح برغبة التي لم يتم تقييده لأنه أضعف الوسائل، فالسؤال تمّ تقييده بموجب المرسوم بقانون رقم (49) لسنة 2018، والاستجواب لم يعد ممكنا، والمناقشة العامة غير قابلة للنقد أو اللوم، وتأليف لجان التحقيق سيتم تقيدها في الطريق.

المعارضة البحرينية وخطابها السياسي

إذا اتفقنا أن مجال السياسة هو مجال المقاربات العقلانية، فعلينا أن نتفق أنه مرتبط بالواقع بالضرورة. والواقع تحدده الظروف الموضوعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمرحلة التاريخية. لذلك فإن الخطط والأساليب والتوازنات السياسية متغيرة دائما. فمن لا يُقرن عمله السياسي بالواقع ومعطياتهِ يجنح نحو العشوائية والمثالية.

جلال إبراهيم

بعد أحداث فبراير 2011 ومخاضاتها المؤلمة راجعت أطراف المعارضة البحرينية جميعها عملها السياسي، فمنها من تعلم الكثير من الدروس في طبيعة مواقفهِ وأساليب نشاطهِ ولغة خطابهِ ومستوى أجنداتهِ وأهدافه. وآخرون لم تتغير مواقفهم ووسائلهم ومفردات خطابهم نحو الجماهير والسلطة.

أكثر من عقد من الزمان انصرم وأطراف في المعارضة البحرينية خطابها السياسي يراوح مكانه، بل أصبح أعنف في لغتهِ ومفرداتهِ، وأكثر مثاليةً وأبعد عن الواقع. فمنهم من لا يزال يرفع ذات الشعارات العاطفية التي رفعها قبل عشر سنوات، وكأن هذه الشعارات لم تُثبت هشاشتها وخوائها.

أطراف أخرى تُصرّ على ربط المعارضة البحرينية بما يُعرف بمحور المقاومة والتحرك في مسارهِ والتقاطع مع قواه ودوله. ما علاقة الحراك السياسي المعارض في البحرين بهذا المحور وأجندتهِ؟ وأي مصلحة لشعبنا ووطننا بادخالهما في هذه الصراعات الكبيرة على المستويين الإقليمي والدولي؟ أليس هذا ضرب من الجنون والتفكير السياسي البائس؟

تحدث الكوارث على مستوى العمل السياسي المعارض عندما يكون التباين واسعاً بين الإمكانيات والطموحات، فمن غير المعقول أن تفكر أو تتبنى قوى معارضة بحرينية ذات الطرق والأساليب لأحزاب سياسية ثورية كما هي في بعض البلدان العربية. أو أن يعود بها الحنين لأدبيات وذكريات الحركات الثورية والتحرر الوطني التي كانت سائدة منذ أربعينيات القرن الماضي.

ما نحتاجه في هذه المرحلة الحرجة والمثقلة بمشكلات وقضايا معقدة تمس وطننا وشعبنا، هو خطاب سياسي متعقل، يُدرك حقيقة الواقع وتفاصيلهِ جيداً، لا أن يُلغي الأبعاد المحلية والإقليمية والدولية من عقله السياسي، فيسبح في بحر من الأحلام ويكون مصيره الغرق في بحر الواقع.

المنطق السياسي المتزن لا المنطق الايديولوجي المتشدد، وحده من يقودنا إلى تحجيم الفجوة وتقريب المسافات مع سلطة الدولة نحو تبريد الساحة وإدخال الفرحة على قلوب مئات الأسر بالإفراج عن أحبتهم من السجون أو عودتهم من المنافي إلى وطنهم. فليس من مصلحة أحد الاستمرار في إنتاج خطاب سياسي متشنج ومغلق، لا يفتح أُفقاً نحو الحلول السياسية الوسطية.

أحمد طريقنا إلى السؤال الصعب

حميد الملا

في صباح السبت الثامن من يوليو لعام ٢٠٠٦ كانت عناوين الصحف وبالبنط العريض تفيض بخبر صاعق، وفاة أحمد الذوادي، لا شئ في الأفق إلا الخوف الذي سرق الفرحة من كل العيون التي كانت تتوجس من هذا الخبر.
الناس المتأهبة للذهاب إلى أعمالها تحاول أن تميز وقع هذا الخبر، وسط فوضى المفاجأه، في ذلك الفجر الذي لم ينبلج تماماً وبتلك العناوين المحزنة، وقع الخبر كالصاعقة على كل من يعرف أحمد. تجمع الناس في أماكن مختلفة وهم يهمسون بألم الفجيعة وقد تحلقوا حول تلك الجرائد يقرأون تفاصيل الخبر بشغف ليتأكدوا مما حدث، إذن تأكد الخبر، في ذلك اليوم الإستثنائي بدت البحرين غريبة كأنها تصحو من كابوس طويل، عمّ الحزن والأسى المدن والقرى.

على الرغم من أن ذلك لم يكن مفاجئًا، حيث أن أحمد كان يرقد في المستشفى بعد أن تمكّن منه المرض، وأخذ السرطان يتمدد بعد أن إنتقل من القولون إلي مواضع أُخرى كالرئة والكبد، إلا إن خبر الوفاة فجع محبيه وترك حسرة ولوعة، ظلوا ينتظرون في توتر منكسين الرؤوس، وبعد أن ألقوا عليه تحية الوداع تعانق الجموع دون أن يقوى أحد منهم على قول شيْ ما وشرعوا في البكاء الصامت.

بقيت على هامش الحديث الذي دار بين المشيعين بعد تفرقهم، وفي قلب كل واحد منهم أسئلة كثيرة لم يجدوا لها مسلكاً، كيف أمكن لهذا الرجل البسيط، اللطيف المفعم بالود أن يشكل رعباً للمستعمر وأعوانه وإنه كان من المحال تصوّر أن يصبح أحمد هو أكثر رجل مطلوب من أجهزة الأمن السري في البلد لدوره الوطني البارز في اذكاء شعلة النضال مشتعلة حتى خروج المستعمر.

ما الذي يختفي في ظل هاتين العينين وهذا اللطف الودود؟ ما الذي يفكر فيه؟ ما العقيدة التي يعيش عليها وما الأفكار التي يؤمن بها، من هو هذا المدهش المتدفقة في عروقه دماء الفتوة، الممتلئ قلبه بالإيمان بعدالة قضيته، والمتوهجة روحه بالنضال؟

أسئلة عديده تدور في مخيلتهم، قال أحدهم.

عليّ أن أنبش وأفتش عن أجوبة لدى رفاقه، فراح يتقصى عنه كما لو أن حماساً مباغتاً قد بعث فيه روح الحياة وودّ لو تعرّف على أفكاره عن قرب، أحببت أن أعرفه بالرجل، استعدت في لمح البصر لحظات تلك الليلة، فقلت بأنني تشرفت بمعرفته والجلوس معه وسماع محاضراته، حيث شاءت الصدف أن التقي به لأول مرة في منزل رفيق دربه محسن مرهون، إنها الصدفة الجميلة بلا ريب.

وجدته رجلاً في هيئة وقورة، ضئيل البنية، نحيل الجسد، أسمر البشرة، قوي الشكيمة والبأس، منصتاً لمحدثيه، كيساً في أخلاقه، مفعماً بالحيوية والأمل، مطمئناً إلى ما يقول، متواضعاً، دمث الخُلق، بشوشاً، طلق المحيا، دقيق اللسان، له قلب طفل ممتلئ بالنور والوجد، يدخل القلب دون استئذان مسبق، هذا هو أبو قيس وقد حدثنا عن أشواقه وانكساراته، عن بعض من رؤاه عن أوضاع البلد، فقال: «خطوتي الأولى باتجاه الحياة الواقعية، أيها الرفاق، كانت اكتشافي سرّ النضال من أجل تحرير شعبي من ربقة الاستعمار ونيل الحرية والعيش الكريم في ظل حكم ديمقراطي يكون فيه للعمال وغيرهم نقاباتهم وفعاّلياتهم المستقلة إلى جانب علنية العمل السياسي وتعددية الحياة الحزبية والعدالة الاجتماعية والتخلص من الظلم و ا لتخلف

وإعطاء المرأة حقوقها كاملة.

في الأثناء فهمت بأن كل رحلة خلّفت فيه دروس حياة، ربطته بمشوار نضال طويل امتدّ لأكثر من خمسين عاماً خُلّد في ذاكرة الوطن، ومن خلال هذه الخبرة الطويلة عرف كيف يكسب المعارك، وكأن معاركه ذائبة في حساء الحياة اليومية، وتيقنت بأن البحرين التي دخلها عاشقاً بعد طول غياب لم تتخلّ عنه أبداً، فكان يردد على مسامعنا مقولة منسوبة للينين (إذا أنت لم تحشر نفسك في السياسة، فإن السياسة ستحشر نفسها فيك)، وبأن الذي يحب الحياة، عليه أن يعرف كيف يموت من أجلها، فتجربته النضالية تلك خلقت لديّ شعور بأن الوحيدين الذين بدا أنهم يعملون بشعور سياسي هم أحمد ورفاقه في التنظيم الذي كان على رأسه: جبهة التحرير الوطني، فأخذني شعور بالنشوة والفخر والإمتنان لهذا الرجل المعطاء، والذي هو مثال للتضحية والعزيمة التي لا تلين.

كسياسي مخضرم كان مُطلعاً على مجريات الحياة السياسية بكل تفاصيلها، ترك لتحليلاته الواقعية أن تأخذ مجراها، فعلى هدى هذه التحليلات بنى نضاله السلمي لتحقيق أهداف خطه السياسي بروح كفاحية مبدئية ذات نفس طويل. فقصة كفاح أبي قيسٍ ليست قصة من تلك التي تبتدع على الورق، بل تبتدعها الحياة بشكل يكاد يكون دائم الاستمرارية وبلا توقف، رغم الصعاب الجمة التي واجهته فذاق طعم التشرد والنفي والسجن والمرض.

من الواضح أن الموهبة وسعة الإطلاع والنباهة من السمات البارزة التي أهلّته لأن يكون القيادي الأول لتيار وطني عريق، فشقّ طريق حياته النضالية بالكفاح والمثابرة والإخلاص، وبنى تنظيمه السري لبنة لبنه إلى أن استوى عوده وأصبح سنديانة راسخة الجذور في تراب الوطن.

هذا الإنسان أمثولة، فهو لهب يضئ العتمة فعندما تقرأ له تشعر بصدق ما يقول لدرجة أن الحياة تزداد اتساعاً معه، كما أن كلماته تحمل إلى من يسمعه الهدوء

والحافز للنضال دون يأس أو كلل.

صورة أحمد ترقد في ذاكرتي، صوته، إبتسامته، شروحاته وكلماته فائقة القوة، بساطته، برحيله بدا وكأن نجماً هوى بعد طول عناء، وبقت ذكراه ساطعة لا تغيب عن مخيلة كل من عاشره، وهنا أستشهد بشعرعلي الجلاوي عنه:

أيا أحمدُ العربي
وقفنا نلمُ لك الموت
يا أيها الواحد المتعددُ
كيف سنقنعك الآن بالموت عنّا
وتقنعنا بالمزيد

أقول بيني وبين نفسي إن كل المشاكل التي كانت تواجه الحياة السياسية، والتي يصعب حلّها قد حلّها هذا الرجل بألمعية تفكيره وببصيرته النافذة، فالفكرة لديه هي كل شيء، وإذا ما آمنت بها تصبح واقعاً ملموساً وعندما تتخذ قراراً، لا تخف، وإلى الأمام.

كان يقول: ثمة رغبة حارة قد عذبتني دوماً أن أرى وألمس أكثر ما يمكن، الأرض والبحر قبل أن أموت والحمد لله تحققت أمنيتي، وهآنذا عدت إلى وطني، وحمل الاستعمار عصاه ورحل، وتحققت بعضاً من الأمنيات، ولو كانت صغيرة لكن خطوة على الطريق الطويل الذي سلكناه.

وكما يقول عنه الشاعرعلي الشرقاوي:

وكنت يا أحمد
طريقاً للسؤال الصعب
في أيامنا الأولى
وكنت كتابنا الأحمر

رجل في منتهى البساطة والذكاء والأريحية، حارب على جبهتين: جبهة المرض الذي أكل جسده النحيل وجبهة الظلم والطغيان والعسف والاضطهاد والغربة والتنقل من سجن إلى منفى، ومن منفى إلى سجن، حياة أليمة وصعبة عاشها، ومع ذلك ظلّ في المقدمة يحدوه الأمل في الإنتصار على هذين العدوين اللدودين: المرض والظلم. وككل الرجال الذين يتمتعون بقدرات تفوق متطلبات الإنسان العادي كان أبو قيس ينسج آماله باليقين الثابت الذي لا يتزحزح بأن النصر قادم ولو بعد حين، فبالنضال الصبور، والعمل الدؤوب نحقق المستحيل.

بعد كل تلك الشروحات قلت أيضاً: أحمد لا يستسلم لصنمية أفكار، وعبودية أشخاص ولا يقبل بطقوسية، فهو رجل واجه سخط الاستعمار وأعوانه عليه بالإزدراء، واستمرّ طوداً شامخ الثبات والعلياء غير عابئ بهم.

وماذا لديك أيضاً عن أحمد؟ قلت كانت الرحلة النضالية التي بدأها أحمد يافعاً استمرت خمسين عاماً، ولا يزال ذلك النهر المتدفق حتى آخر يوم من عمره، وربما لو طالت به السنون لأعطى المزيد، وكان يقول أيضاً إن يكون السياسي داخل اللعبة وإلا سيكون على هامشها متفرجاً، تكون أو لا تكون، وهذا منطق الأشياء.

قال بعد الذي استفضت في شرحه عن أحمد أحسست بكثير من الإرتياح، وعرفت بأنه أكثر إنسانية وذو وجدان عميق وفكر أصيل وقدرة عظيمة على تحليل الواقع ووضع الحلول، كان ينظر إلى البعيد ويبدو كمن يرى أبعد من الأفق وأبعد من الزمن، فلربما كان العملة النادرة في هذا الزمن وكأنما خُلق للعذاب ليرتاح غيره، عاد أدراجه منتشياً بالمعلومات التي حصل عليها شاكراً، وممتنا وفخوراً بعظمة هذا الرجل العصامي الذي عاش الحياة في وجه الموت، والآمل في وجه اليأس، والمناضل الصبور والقابض على الجمر لآخر رمق في حياته، وقال مودعاً: سيرة أحمد العطرة بهذا المشوار النضالي الطويل أصبحت حكاية طويلة لن ينتهي رجع صداها لأنها في وجدان الناس وقلوبهم.

صورة الخليجي المقلوبة

محمد المحفوظ

إنّ الصورة المترسخة في ذهنية الأكثرية من الاخوة العرب للانسان الخليجيّ هو ذاك الانسان «البالغ الثراء والجهل» ولسنا بحاجة الى كبير عناء لادراك الصورة بحذافيرها فيمكن لمسها بوضوح لمن تشاء ظروفه التواجد في احدى البلدان العربية.

السؤال لماذا هذا الربط التعسفي بين الانسان الخليجيّ وبين الثراء النفطي كما لو كان لعنة لا يراد الفكاك منها؟ ". انّه من لوثه النفط وهو من خلعت عليه الصحراء ثوبها الغباري بحسب اديب عروبيّ وهو من يختزن النفط في خصيتيه» طبقا لشاعر عربيّ معروف.. وهو من نسجت عقله الخرافة والقابع في عصور الظلمات. الي غيرها من مفردات الهجاء إلى الحدّ الذي صورته بكائن متخلف يعيش خارج العصر. المأساة انّ كل هذه الأوصاف تطلق بصيغة تعميمية ولا توفر أحداً.

واستذكر هنا انّ باحثا خليجيّا مرموقا هو الدكتور محمد الرميحي كان اصدر قبل عقود كتابا في غاية الاهمية حمل عنوانا لافتاً: «الخليج ليس نفطاً» حاول من خلاله تقديم صورة مغايرة لانسان الخليج بخلاف ما استقرت عليه في المخيلة العربية. عنوان الكتاب صار علامة فارقة توحي بفكّ الترابط الذي بدا وكأنّه أبدي بين الثروة النفطية والشعب العربيّ في الخليج. وهو من جهة اخرى يمثل صرخة احتجاج على التجاهل الطويل للعربيّ في الخليج انسانا وانجازات .

كان يفترض التعامل ازاء الظاهرة النفطية بكونها ظاهرة عابرة كما هو الحال بالنسبة للأمم الأخرى كبريطانيا مع ثروة الفحم» والبقاء دوما هو للجغارفيا والتاريخ والانسان "القراءة الموضوعية المنصفة للإنسان الخليجيّ هي مناقضة تماما لتلك المتكونة لدى الآخرين، ومن بينهم لبالغ الاسف ينتمون للامة العربية. والاّ من بوسعه ان يتجاهل الدور المهم الذي تمثله كفاءات وطاقات خليجية رسخت وجودها علي المستوى العربيّ وحتى العالميّ .

من المسؤول عن تكريس هذه الصورة الشوهاء التي لا تبرح المخيلة العروبية والتي تشوبها نزعة احقاد دفينة في اغلب الاحيان . الكثيرون من ابناء الخليج يفيضون نبلا وشهامة وانسانية ولا ادّل على هذا انه في الاوقات العصيبة والمنعطفات الصعبة كان ابن الخليج داعما ومساندا ومؤازرا لاشقائه العرب . ونستحضر هنا اشادة الزعيم جمال عبد الناصر بمواقف شعب البحرين ابّان ازمة السويس.

لا شك انّ الاعلام بشقيه السمعي والمقروء والقنوات الفضائية جميعها أسهمت بنصيب كبير في قلب الصورة واشاعة الاكاذيب لدى الآخرين وبينهم للاسف اخوة اشقاء . اضافة الى من استهوتهم وانطلت عليهم ما عرف ب «نظرية المركز والاطراف»، وبمرور الزمن ترسخ لديهم أنهم يشكلون المركز والاقطاب لاي حركة ابداعية اما الآخرون فهم متطفلون مهما كانت منجزاتهم الفكرية والادبية .

لكن من يتأمل المنجز العلمي والثقافي للانسان الخليجيّ في السنوات الفائتة تحديدا سيدهش بما تحقق من مستوى ابداعي، لكن المؤسف انه رغم هذا فانه يبقى محكوما بالنظرة ذاتها. وكما اشار الرميحي «ان مجتمات الخليج خاضعة لقانون اجتماعي في القيم والمفاهيم لا تتناسب سرعتها مع التغيرات في الواقع الاقتصادي.

قُبلَة غير مرغوب فيها

د.بروين حبيب

لا أذكر أني صدمت حين قرأت قصّة الثلجة البيضاء (أو بياض الثلج) والأقزام السبعة، وهي قصة قرأتُ طبعات كثيرة منها، كلها تنتهي نهاية سعيدة، حين يظهر الأمير في ختام المشهد القصصي ويفتح التّابوت الزجاجي ويقبل بياض الثلج فتستيقظ من «نومها المميت» الذي حدث جرّاء قضمها لتفاحة مسحورة قُدّمت لها من طرف المشعوذة الشريرة.

لم تصدمني القبلة، التي صدمت كاتبتان أمريكيتان ندّدتا في عموديهما في جريدة "سان فرانسيسكو كرونيكل" بها، لأنّها بشكل ما فُرِضت على بياض الثلج، وتمت ضد رغبتها. مع أنني ابنة مجتمعٍ محافظ.

هكذا أثارت كلٌّ من كاتي دود وجولي تريمين جدلا في الفاتح من الشهر الحالي عبر مواقع التواصل الإجتماعي إثر افتتاح معلم جديد في "ديزني لاند بارك" بعد أربعمائة يوم من الإغلاق مُركِّزتين على فكرة القبلة التي اختلسها الأمير دون أي تبادل لنفس المشاعر مع الحسناء النّائمة.

القصّة الخرافية التي كتبها الأخوان غريم ضمن مجموعة من القصص التراثية التي كانت تروى في ألمانيا، تم تعديلها كما أغلب قصص الأخوين غريم لتناسب كل حقبة زمنية، وتتماشى مع الأفكار التربوية الجديدة، لكن كون القصة جزء من المخيال الشعبي ظلّت بنودها الأساسية دون تغيير، واعتبرت النهاية سعيدة ومفرحة ومقبولة لكل الحقبات. لكن هل فعلاً هي كذلك في زمن حركة "مي تو"؟ والثورة النسائية على التحرش بكل أنواعه؟

لنتركّر معًا أنّ ثمة نقاط تشابه بين هذه القصة وقصص أخرى، مثل تكرار الرقم سبعة، ونوم الأميرات الذي يحتاج دوماً لأمير مغامر ليستيقظن، والشوكة التي قد تكون ملعونة، ونقاط الدم الثلاث، والساحرات الشريرات، والجنيات الطيبات، وغيرها من العناصر المتكررة في مسارات الأحداث عند الأخوين غريم، ثم الشيء الثابت في الغالب وهو هذا الأمير المنقذ للأميرة المظلومة، وربّما هو أكثر ما أزعج الكاتبتين الأمريكيتين، والناشطين على السوشل ميديا.

بالرُّغم من أنّ بعضهم أثار نقطة أخرى. أليس الأجدر أن نغضب لأن بياض الثلج تم تسميمها وتركها ميتة من طرف السّاحرة؟ لماذا لم يُقلق هذا الأمر نشطاء ومدافعين عن حقوق الإنسان وحق الطفل ومناهضة العنف بكل أشكاله؟

وفقا للكاتبتين فإنّ ديزني التي حوّلت القصة إلى فيلم في ثلاثينات القرن الماضي، والتي لعبت دوراً مهما في التّرويج لأفكار سيئة للأطفال، فقد حان الوقت لتغيّر من أفكارها، خاصّة أنها عملت على تحوير أحداث كثيرة في قصص أنتجتها سينمائيا حتى لا تصدم مشاهديها من الصغار والكبار.

فكرة تجسيد القبلة غير المرغوب فيها وصفتها الكاتبتان ب "المتخلِّفة" حول ما يُسمح للرّجل بفعله للمرأة، وتقترحان نهاية مغايرة تكون أكثر تحضُّرًا.

فئة شاسعة من مستخدمي «تويتر» استنكرت استخدام ثقافة الألغاء هذه، والمساس بتراث يشهد على المحتوى الأدبي في الماضي. فيما قدّم البعض نهايات ساخرة للقصة على نسق أن يرمي الأمير سطل ماء بارد على الحسناء النائمة، أو يطلق زمورا قويا من بوقه، فيما تساءل البعض هل كانت الكاتبتان ستعترضان لو قام الأمير بإنعاش بياض الثلج بالطريقة الفموية التقليدية؟

هذه ليست أول مرة يُثَار فيها موضوع كهذا، فمنذ سنوات بدأت تُقَدَم اقترحات لكتب مناهضة للتحيُّز الجنسي، بدءا برفض تخصيص اللون الوردي للقصص الموجهة للإناث، والأزرق للذكور، وتعويض فكرة الأميرة المسجونة أو المظلومة بفكرة أخرى لا تمجّد من قوة الذكور وضعف الإناث، فالأمير أيضا بإمكانه ان يعيش في ورطة ويمكن للأميرة أن تنقذه. يُشيد البعض بقصّة "الجميلة والوحش" لأنّها عكست الآية، ووضعت الأنثى في موضع المُنقِذ.

إن فكرة أن الأمير هو المنقذ الوحيد للحسناء الفاتنة الواقعة في مصيبة ما تغرس في رؤوس الفتيات أنهن عاجزات لتخليص أنفسهن من الورطات التي قد تواجههن في الحياة، خاصّة أن أغلب هذه القصص المفعمة بهذا المحتوى تُحضّرهن لعمر النضج، أي أنها بشكل غير مباشر تهيِّئهنّ لمستقبلهن بخطّة حياة اتكالية محضة على الرجل، وهنا تكمن خطورة القبلة غير المرغوب فيها، كونها تتكئ على تقدمة جسدية من المرأة للرجل مقابل الحصول على خلاصها.

إن كان هذا هو التفسير الذي يقدمه مستخدمو مواقع التواصل الإجتماعي بكل أصنافهم، فإن أحد أقدم وأشهر المؤلفين الذين كتبوا في هذا الموضوع، المحلل النفسي برونو بيتلهيم (1903 –1990) قال أن الإعتقاد بأن الحكايات الخيالية قصص سخيفة غير هادفة اعتقاد خاطئ.

في كتابه "التحليل النفسي لقصص الجنيات الموجهة للأطفال" وجد أن لتلك "الحكايات قيمة علاجية للأطفال، كون محتوياتها ورسائلها الخفية توجه الطفل لاكتشاف المعنى العميق للحياة، وإثارة فضوله". فالقارئ الصغير لديه رؤية مغايرة تماما للقارئ الكبير، ووفق المؤلف الذي نشر كتابه العام 1979، فإن "الكتاب موجّه للبالغين لفهم أهمية الحكاية الخرافية للأطفال" من خلال عرض العديد من الحكايات الشعبية مثل بياض الثلج والأقزام السبعة، وسندريلا، والجميلة والوحش وغيرها، مع تركيز بشكل خاص على الموضوعات الرئيسية مثل عقدة أوديب، والتنافس بين الأشقاء، وأهمية الحب في الحياة، ويوضح كيف تستجيب هذه الحكايات لمخاوف الأطفال حسب تصوّرهم غير الناضج للأمور.

بمجرّد بدء سرد الحكاية على الطفل بمقولة "كان ياماكان" ينتقل إدراك الطفل إلى عالم خيالي تحكمه المتعة، وبمجرد أنتهائها يعود للواقع الذي تحكمه القيود اليومية المرتبطة بالتنشئة الإجتماعية، والتي وفقا لبيلتهيم لا تسمح بإصدارات أخرى.

في إحدى فقرات كتابه يقول: " كل حكاية خرافية هي مرآة سحرية تعكس جوانب معينة من كوْننا الداخلي، ولخطواتنا المطلوبة لمرورنا من مرحلة عدم النّضج إلى مرحلة النّضج" .

وهُمُ البالغين يبدأ من هنا، حين يعتقدون أن لا خيط فاصل بين الواقع والخيال، بالرغم من أنّهم كانوا أطفالا ذات يوم، وبالرغم من رؤيتهم لأحلام بالأبيض والأسود تفوق قصص الخيال خيالا، وهذا يعني أن كل سرد مرتبط بمخيلة عميقة تختبئ في أعماقهم.

يطالب الأطفال بقصص يوميا، والمحظوظون منهم فقط يحظون بقصص من محيطهم العائلي، سواء بقراءة الكتب أو سرد ما توفّر لهم من ميراث شعبي شفوي. يُفتَتَن الأطفال بقصص العائلة الغريبة التي يروونها عن أشخاص يعرفونهم، ويطلبونها باستمرار، وإن لم يجدوا من يشبع رغبتهم هذه يبتكرون قصصهم الخاصة فقط حاولوا الإصغاء إليهم وستكتشفون ذلك.

الهوس بالحكايات مرتبط بقلق أو مشكلة داخلية، غالبا ما تكون خوفا أو رهابا، وهي تريحه، وتقدّم له الإجابات والنهايات المطمئنة، فلا مصيبة أو مشكلة تدوم للأبد.

سنة 2017 قامت محامية بريطانية بالمطالبة بتغيير نهاية قصة «الأميرة النائمة « وشطب القبلة التي أيقظتها بعد أن أصابها الهلع حين وجدت إبنها ذي الست سنوات يطلع عليها، لكنّها لم تثر زوبعة إعلامية كما فعلت الأمريكيتين.

لكن إن عدنا للعقل ولم نتكئ حتى على التحليل النفسي للحكاية الخيالية بكل ما تحويه من أحداث غريبة، فإن لكل شخص رؤية مختلفة لما يقرأ. تولد معاني جديدة للحكاية نفسها اعتمادا على عمر القارئ، وتجربته، وخلفيته الثقافية والإجتماعية سواء للبالغين أو للأطفال. تفسير الحكاية مرتبط باحتياجات القارئ اللحظية.

إن اللافت في هذا الموضوع بالذات أنّ الأطفال في زمننا الحاضر يسخرون من قصص خرافية كهذه، وهي قصص وَقَعْنا تحت فتنتها ذات يوم حين كنّا في نفس أعمارهم. نعم، قد تكون ممتعة لهم، لكنّهم مقتنعون تماما أنها مجرّد خيال، كونها تُروى مع كم هائل من القصص المبتكرة وفق معطيات العصر الجديدة.

إن مشكلة القبلة غير المرغوب فيها في قصة بياض الثلج، تبدو لنا تافهة أمام فتاوى تُجيز زواج القاصرات في بعض بلداننا، يحارب النشطاء منذ عقود لتغييرها دون جدوى، والقائمة طويلة فيما يخص الإعتداءات المسموحة ضد الطفل والمرأة بدءا بالنصوص الشرعية والقانونية إلى القصص الشعبي والنصوص الروائية والدراما والسينما وهلُمّ جرّا...

قبل عام من اليوم وعندما كان عدد اصابات «كورونا» في بلدنا لا يتجاوز ال ٥٠٠ حالة، قال أحد معارفنا، وهو رجل ميسور ويمتلك شققا في لندن وإسبانيا وغيرها، إنه إذا استمرّت الحال على هذا المنوال فسوف أحزم حقائبي، وأسافر مع عائلتي ولن أعود قبل انقضاء هذا الوباء وانخفاض الحالات وتراجع الوفيات، ترى ما عساه يفعل اليوم والبحرين تسجل آلاف الحالات وعددا غير مسبوق من الوفيات يومياً، وتصنف عالمياً كبلد موبوء يحظر السفر إليه؟

عصمت الموسوي

البحرين ليست استثناء، وثمة دول عديدة سبقتنا إلى هذه الحال، فأقدمت على الإغلاق الجزئي أو الكامل من أجل تخفيف حدة انتشار المرض، وللتخفيف على منظومة الجهاز الصحي تحسباً ليوم لا نجد فيه سريراً شاغراً أو أنبوبة أوكسجين أو طاقماً طبياً أو تمريضياً قادراً على استيعاب كل هذه الأعداد المتزايدة من المصابين والمرضى والمتوفين.

لا شكّ أن البحرين حققت انجازاً كبيراً في بداية انطلاق المرض، ومع حملة الفحوصات ثم التطعيم لاحقاً، فالعمل الذي انجزه فريق البحرين لا يستهان به وجدير برفع القبعة إليه تحية، عدد المتطوعيين والعاطلين عن العمل الذين تقدّموا للعمل مع فريق البحرين وكانوا ضمن الصفوف الأولى وجازفوا بأراواحهم وعرضوا صحتهم وصحة عائلاتهم للخطر، فريق البحرين لا يستحق هذا الهجوم والتجني الذي يتعرض له، بل إني اعتبر كل مواطن ملتزم بالتعليمات، هو فرد عامل ومؤازر في فريق البحرين.

من كان يتصور أن نبلغ هذه الأرقام المخيفة؟ من كان يتصور أن تعرف البحرين الفيروس المتحوّر القادم من هذا البلد أو ذاك؟ ثمة جدل كبير ومتعدد طفح على السطح على مواقع التواصل الاجتماعي متسائلا ومشككا ومرتاباً في صحة هذا الإجراء أو ذاك في وقت تتصاعد فيه الأرقام، هل نفتح البلد براً وجواً ام نغلقها؟ لمن الألولوية في التوظيف، أبناء البلد أم المستقدمين من الخارج، ثم ماذا عن وضع السجناء في زمن التباعد الجسدي المطلوب والضروري؟

ألم يحن الوقت لفسحة من التفكير التشاركي بين الشعب وقيادته من زاوية نظر مختلفة آخذة في الاعتبار وضع صحي واقتصادي ضاغط وغير طبيعي وغير مألوف؟ هل فتح دور العبادة والترفيه والرياضة ملح في هذه الفترة؟ هل استقدام عمالة جديدة أو قديمة قضية امنية عالية الخطورة ولا يصح التراجع عنها او تقييمها مجددا بناء على المستجدات الجديدة لصالح عمالة بحرينية مؤهلة ومدربة؟

اخترت جزءا من الملفات التي تحظى اليوم بأكبر نقاش على سبيل المثال لا الحصر، إن كورونا طرحت تلك التساؤلات الجديرة بالطرح ليس عن واقعنا الصحي "الكوروني» بل عن أزماتنا السياسية المركونة والمعلقة، وعن كثير من انعدام الثقة في إدارة الملفات المهمة، ومن الطبيعي أن جائحة بخطورة «كورونا» لهي جديرة بأن تنعكس وتلقي بظلالها على أي وضع هشّ وضعيف ورجراج في أي بلد كان. إن الوقت مناسب لفتح وتمهيد الطريق أمام حوار سياسي اجتماعي اقتصادي شامل وجذري وحقيقي، فكلنا على مركب واحد، والغرق سيودي بنا جميعا.

يتحدث الخبراء الاستراتيجيون اليوم في كل مكان في العالم عن أن جائحة كورونا من شأنها ان تطرح الأسئلة الكبرى حول هذا الكوكب المختل بيئياً وسياسياً واقتصادياً وأخلاقياً أملاً في الوصول إلى حياة جديرة بالحياة، الجائحة ستبقى معنا سنوات وبلدنا حققت أموراً عديدة ايجابية ومدعاة للفخر والإعجاب في التعاطي مع ملف الجائحة، وقد حان الوقت للاستدارة للمفات الأكبر والأعقد، ولفت انتباهي أن البلاغ الذي يصل إلى المواطنين على تطبيق «مجتمع واعي» يتضمن لوناً اخضراً زاهياً وجميلا وباعثاً على الأمل والتفاؤل، أما في حالة الإصابة «الإيجابي»، فيحمل اللون الأحمر المنذر بالخطر مترافقاً مع عبارة مقلقة بالتأكيد لمرسل الرسالة ولمتلقيها: "أنت مصاب".

نحن اليوم بلد مصاب بالكوفيد وبأمراض أخرى سياسية في المقام اليوم ونتعامل معها وفق نظرية «الفيل الابيض» الذي يشغل مساحة كبيرة في المكان، لكننا لا نراه أو ندعي عدم وجوده، لننفتح على بعضنا البعض أولاً قبل أن نقرر فتح البلد أو غلقها لدواع صحية واقتصادية وغيرها.

تجديد النموذج الإشتراكي المثالي (٢ – ٢)

بقلم: John Bellamy Foster

الحُرية كضرورة

بِناءً على فلسفة هيغل Hegel، جادل إنجلز Engels في مقالتِه الشهيرة Anti–Dühring ضد دوهرينغ بأن الحرية الحقيقية ترتكز على الإعتراف بالضرورة. كان التغيير الثوري هو النقطة التي التقت فيها الحرية والضرورة في التطبيق العملي الملموس. وعلى الرغم من وجود شيء مثل الضرورة العمياء وراء المعرِفة البشرية، بمجرد إدراك القوى الموضوعية، لم تعُد الضرورة عمياء، بل قدمت مسارات جديدة للعمل البشري والحُرية. الضرورة والحُرية يتغذي كلٌ منهُما على الآخر، مما يتطلب فترات جديدة من التغيير الإجتماعي والسمو التاريخي. عند توضيح هذا المبدأ الديالكتيكي المادي، لاحظ لينين بِحدة، "نحنُ لا نعرف ضرورة الطبيعة في ظواهر الطقس. ولكن بينما نحن لا نعرف هذه الضرورة، فإننا نعرفُ أنها موجودة. نحنُ نعرف أن علاقة الإنسان بالطقس والطبيعة بشكلٍ عام تختلف حتماً مع علاقات الإنتاج المُتغيّرة التي تحكم أفعالنا.

اليوم، الإعتراف بأزمة المناخ البشرية المنشأ وبالظواهر المناخية الحادة تُبعد البشر عن عالم الضرورة العمياء وتُطالب سُكان العالَم بالإنخراط في النِضال النهائي من أجل الحُرية والبقاء على قيد الحياة ضد الرأسمالية الكارثية. وكما ذكر ماركس في سياق الإنشقاق الأيضي الحاد (عملية الهدم والبناء في نسيج المجتمع) الذي فُرِض على أيرلندا نتيجة للإستعمار البريطاني في القرن التاسع عشر، فإن الأزمة البيئية تُقدم نفسها كحالة "خراب أو ثورة". وفي مركزية الكائن البشري، يوجد الآن التصدُع البيئي الناتج عن توسع الإقتصاد الرأسمالي على نطاق يُنافس الدورات البيوجيوكيميائية لكوكب الأرض. إلا أن، معرفتنا بهذهِ التطورات الإيجابية يسمح لنا أيضاً تصور الثورة الضرورية في تكاثر التفاعل الحيوي الإجتماعي للإنسانية ولكوكب الأرض.

وإذا نظرنا إليه في هذا السياق، فإن المفهوم الحاسم لماركس عن "مجتمع المنتجين المُترابطين" لا يجب أن يُنظر إليه على أنهُ مُجرد مفهوم طوباوي بعيد المنال أو مِثال مُجرد، وإنما باعتبارهِ جوهر الدفاع البشري الضروري في الحاضر والمستقبل، والذي يُمثل إصرار المُطالبة بعلاقة مُستدامة مع كوكب الأرض.

لكن أين عامل التغيير الثوري؟ والجواب هو أننا نرى ظهور الشروط المادية المُسبقة لما يمكن أن نسميه البروليتاريا البيئية العالمية. كان كِتاب إنجلز «ظروف الطبقة العاملة في إنجلترا» الصادر في عام 1845، وصفاً وتحليلاً لظروف الطبقة العاملة في مدينة مانشستر في بريطانيا، مُباشرةً بعد حادثة ما سُمي "سد مؤامرة الشغب" وفي ذروة الوثيقة الراديكالية. وصور إنجلز بيئة الطبقة العاملة ليس مُجرد من حيث ظروف وأحوال المصنع فحسب، بل أكثر من ذلك بكثير من حيث التطور الحضري، والإسكان، وإمدادات المياه، والصرف الصحي، والغذاء والتغذية، وتنمية الطفل. وكان التركيز على البيئة الوبائية العامة التي فرضتها الرأسمالية (التي سمها إنجلز "الجريمة الإجتماعية" والتي سمها فيما بعد الطبيب وعضو الحزب الشيوعي الكندي نورمان بيثون Norman Bethune "الداء الثاني") وارتبطت

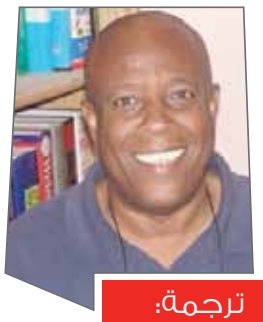

ترجمة:
غريب عوض

بالإعتلال والوفيات، خاصةً بسبب الأمراض المُعدية. كان ماركس، تحت التأثير المُباشر لإنجلز ونتيجة لدراساتهِ الوبائية الإجتماعية بعد عشرين عاماً أثناء كِتابتهِ لرأس المال، لاحظ أن تصدع التفاعل الحيوي الإجتماعي الإقتصادي ينشا ليس فقط فيما يتعلق بتدهور التُربة، ولكن أيضاً على حدٍّ سواء، على حد تعبيره، من حيثُ «الأوبئة الدورية» التي يُسببها المجتمع نفسه. إن ما يخبرنا بهِ هذا، ويمكننا أن نجد العديد من الأمثِلة الأُخرى، من الثورتين الروسية والصينية إلى النضالات في جنوب العالم اليوم، هو أن الصراع الطبقي واللحظات الثورية هما نتاج اندماج الضرورة الموضوعية والمُطالبة بالحُرية النابِعة من الظروف المادية ليست اقتصادية فحسب، بل هي أيضاً بيئية بالمعنى الواسع للكلمة. وبالتالي، من المُرجح أن تحدث المواقف الثورية عندما تجعل مجموعة من الظروف الإقتصادية والبيئية التحولات الإجتماعية ضرورية، وحيثُ يتم تطوير القوى والعلاقات الاجتماعية بما يكفي لجعل مثل هذهِ التغييرات مُمكنة. وفي هذا الصدد، إذا نظرنا إليها من وجهة نظر عالمية اليوم، فإن قضية البروليتاريا البيئية تتداخل مع مسألة الفلاحين الإيكولوجيين ومع نِضالات السُكان الأصليين ولا يمكن تمييزها عنها. وبالمثل، فإن النِضال من أجل العدالة البيئية الذي يُنشط الآن الحركة البيئية عالمياً هو في جوهرِهِ نِضال الطبقة العامِلة والشعوب.

يمكن النظر إلى البروليتاريا البيئية بهذا المعنى على أنها تبرز كقوة في جميع أنحاء العالم، كما يتضح في الفترة الحالية من الصِراع الإيكولوجي الوبائي فيما يتعلق بـ فيروس الكورونا COVID–19. ومع ذلك، فإن المركز الرئيسي للعمل الإيكولوجي الثوري في المستقبل القريب يظل هو عالم الجنوب، في مواجهة الواقع القاسي للإمبريالية فيما يتعلق بمركزية الكائن البشري في هذهِ الحياة على كوكبنا هذا. وكما لاحظ الكاتب المصري اليساري الراحل سمير أمين في كتابهِ «الإمبريالية الحديثة ورأس المال الإحتكاري وقانون القيمة لماركس»، فإن ثالوث الولايات المتحدة وأوروبا واليابان يستخدم بالفعل القدرة الحيوية للكوكب بأربعة أضعاف المتوسط العالمي، مُشيراً إلى النسيان البيئي. هذا المُستوى غير المُستدام لاستهلاك الموارد في شمال الكرة الأرضية مُمكن فقط بسبب:

يتم استخدام نسبة جيدة من القدرة الحيوية للمجتمع في الجنوب من قِبل هذهِ المراكز [في الثالوث ولِصالحها. بعبارة أُخرى، يؤدي التوسع الحالي للرأسمالية إلى تدمير الكوكب والإنسانية.والإستنتاج المنطقي للتوسع هو إما الإبادة الجماعية الفعلية لشعوب الجنوب على أنهُ "اكتظاظ سُكاني" أو، على الأقل، حبسهم للفُقر المُتزايد باستمرار. يجري تطوير موقف فاشستي بيئي يُعطي شرعية لهذا النوع من "الحل النهائي" للمشكلة.

نظام جديد لتزايد التفاعل الحيوي الإجتماعي

لا يمكن أن تحدث عملية ثورية لِبناء اشتراكي تهدف إلى إقامة نظامٌ جديد من تزايد حيوي اجتماعي وفقاً لمطالب الضرورة والحُرية دون «مبدأ توجيهي» شامل و «مقياس للإنجاز كجزء من استراتيجية طويلة الأجل. وهُنا وفقاً للفيلسف الماركسي الهنغاري ميزاروس Mészáros، يدخل مفهوم المُساواة الموضوعية أو مجتمع المُتساوين، الذي ينطوي أيضاً على

ديمقراطية موضوعية، حيزاً في نِضالات اليوم. ومثل هذه المُقاربة لا تقف في تعارض مع رأس المال فحسب في جوهرهِ المُتوحش بل تُعارض أيضاً أي مُحاولة عقيمة في نهاية المطاف للتوقف في منتصف الطريق لعملية الإنتقال إلى الإشتراكية. وقد أوضح عمانويل كانت Immanuel Kant وجهة النظر الليبرالية المُهينة بعد فترة قصير من الثورة الفرنسية عندما ذكر أن "المُساواة العامة بين الناس كأفراد في دولة تتعايش بسهولة تامة مع أكبر قدر من عدم المُساواة في درجات المُمتلكات التي يمتلكها الأفراد ... ومن ثم، فإن المُساواة العامة بين الأفراد تتعايش مع عدم مُساواة كبيرة في الحقوق المُحددة التي قد تكون كثيرة".

وبهذه الطريقة، أصبحت المُساواة رسمية فقط، توجد فقط "على الورق" كما أشار إلى ذلك فريدريك إنجلز، ليس فقط فيما يتعلق بعقد العمل بين الرأسمالي والعامل بل أيضاً بالنسبة لعقد الزواج بين الرجال والنساء. ومثلُ هذا المُجتمع يؤسس، كما أوضح ماركس، "حق عدم المُساواة، في مضمونه، مثل كل حق." إن فكرة المُساواة الموضوعية، التي تتفق مع مفهوم ماركس للشيوعية، تتحدى كل هذا، وهي تطلب تغييراً في الخلايا المُكونة للمجتمع، والتي لم تعد قادرة على أن تتألف من أفراد أنانيين، أو رؤوس أموال أفراد، تُعززها دولة وهمية، بل يجب أن تستند إلى المنتجين المُترابطين ودولة المجتمع. إن التخطيط الحقيقي والديمقراطية الحقيقية لا يمكن أن تبدأ إلا من خلال تأسيس السُلطة من قاع المجتمع. وبهذه الطريقة وحدها تُصبح الثورات لا رجعة فيها.

كان الاعتراف الصريح بتحدي وعبء اشتراكية القرن الحادي العشرين في هذه الشروط يُمثل التهديد غير العادي للنظام السائد الذي شكلتهُ الثورة الفنزويلية بقيادة هوغو شافيز Hugo Chávez. لقد تحدت الجمهورية البوليفارية الرأسمالية من الداخل من خلال خلق سُلطة جماعية وبطلة شعبية، وولّدت فكرة الثورة على أنها إنشاء مجتمع عضوي، أو نظام استقلابي اجتماعي جديد. قدم شافيز، بناءً على تحليلات ماركس Marx و ميسزاروس Mészáros، بواسطة ليبوفيتز Lebowitz، فكرة «المُثلث الأولي للإشتراكية»، أو (1) المُلكيّة الإجتماعية، (2) الإنتاج الإجتماعي الذي ينظمهُ العُمال، و(3) إشباع الاحتياجات المجتمعية. كان أساس هذا النِضال من أجل المُساواة الجوهرية، وإلغاء عدم المُساواة في الخط اللوني والخط الجندري، والخط الإستبدادي، وخطوط الإضطهاد الأُخرى، كأساس جوهري للقضاء على مجتمع غير المُتكافئين.

في كِتابه "الشيوعية كنموذج مِثالي»، أكد بول أم سويزي Sweezy على الأشكال الجديدة للعمل التي ستظهر بالضرورة في مجتمع يستخدم إنتاجية بشرية وفيرة بشكل أكثر عقلانية. وأشار إلى أن العديد من فئات العمل "ستُلغى تماماً (مثل مناجم الفحم والخدمة المنزلية)، وبقدر الإمكان، يجب أن تُصبح جميع الوظائف مُمتعة ومُبدِعة كما هو الحال مع القليل منها اليوم.» إن الحد من الهدر الهائل والدمار المُتأصل في الإنتاج والإستهلاك الرأسمالي سيفتح مساحة لتوظيف الوقت المُتاح بِطُرُق أكثر إبداعاً.

في مجتمع يتساوى فيه الجميع – ذلك الذي يقف كل فرد فيه في نفس العلاقة بالنسبة لوسائل الإنتاجُ ويتعيّن عليه نفس الإلتزام بالعمل وخدمة الرفاهية المُشتركة – كُلُ "الإحتياجات" التي تؤكد على تفوق القِلة وتنطوي على خضوع إرادة الكثيرين سوف تختفي ببساطة وسَتُستبدل باحتياجات البشر المُحرَرين الذين يعيشون معاً في احترام وتعاون...المجتمع والبشر الذين يؤلفونه يُشكلون كُلاً ديالكتيكياً: لا يمكن لأي منهُما أن يتغيّر دون أن يُغيّر الآخر. والشيوعية كشيْ مِثالي تشمل مجتمع جديد و[إنسان جديد.

أكثر من مجرد فكرة مِثالية، مثل هذا المبدأ التنظيمي الذي تكون فيه المُساواة الجوهرية والديمقراطية الجوهرية في مقدمة كل شيء في مفهوم الإشتراكية/الشيوعية هو أمرٌ ضروري ليس فقط لخلق مسار اشتراكي إلى مستقبل أفضل ولكن كضرورة للدفاع عن سكان العالم الذين يواجهون مسألة البقاء. على الرغم من الكُتُب والروايات البائسة، من المستحيل تخيل مستوى الكارثة البيئية التي ستواجه شعوب العالم، خاصةً أولئك الذين في أسفل التسلسل الهرمي الإمبريالي، إذا لم يتم إيقاف التدمير الخلاق للرأسمالية لعملية استقلاب البشرية والأرض في منتصف القرن.

وفقاً لمقال في عام 2020 حول "مُستقبل بيئة المناخ البشري" في وقائع الأكاديمية الوطنية للعلوم، بُناءً على الإتجاهات الحالية، من المتوقع أن يعيش 3.5 مليار شخص في حرارة غير صالحة للعيش خارج بيئة المناخ البشري بحلول عام 2070، في ظِل ظروف مُماثلة لتلك الموجودة في الصحراء الكُبرى. حتي مثل هذه التوقعات تفشل في استيعاب مُستوى الدمار الهائل الذي سيقع على غالبية البشرية في ظِل الأعمال الرأسمالية كالمُعتاد. والجواب الوحيد هو مُغادرة المنزل المُحترق وبِناء منزل آخر.

أُممية العُمال والشُعوب

على الرغم من أن أعداداً لا تُحصى من الناس يُشاركون في صِراعات لا حصر لها ضد الطاقوت الرأسمالي في مناطقهم المُحددة في جميع أنحاء العالَم، فإن النِضال من أجل المُساواة الجوهرية، بما في ذلك المعارك حول العِرق والجنس والطبقة، يعتمد على الكفاح ضد الإمبريالية على المُستوى العالمي. لهذا، هناك حاجة لمنظمة دولية جديدة للعُمال وفق نموذج الأُممية الأولى لماركس. لا يمكن لمثل هذه الأُممية للقرن الحادي والعشرين أن تتكون ببساطة من مجموعة من نخبة المثقفين من الشمال المُنخرطين في المنتدى الإجتماعي العالمي – مثل أنشطة المُناقشة أو في تعزيز الإصلاحات التنظيمية الديمقراطية الإجتماعية كما هو الحال فيما يُسمى بالأممية الإشتراكية التقدُمية. بدلاً من ذلك، يجب تشكيلها كمنظمة قائمة على العُمال والشُعوب، مُتجذِرة مُنذُ البدية في تحالف جنوب–جنوب قوي لوضع النِضال ضد الإمبريالية في قلب الثورة الإشتراكية ضد الرأسمالية، كما تصورتها شخصيات مثل شافيز Chávez وسمير أمين Amin.

في عام 2011، قُبيل مرضهُ الأخير، كان شافيز يستعد، بعد إنتخابهُ التالي، لإطلاق ما كان سيُطلق علية إسم الأُممية الجديدة (وليس الأُممية الخامسة) بالتركيز على التحالُف جنوب–جنوب وإعطاء أهمية عالمية للإشتراكية في القرن الحادي والعشرين. كان هذا من شأنهِ أن يوسع التحالُف البوليفاري لشعوب أمريكا لدينا إلى مُستوى عالمي. لكن هذا لم يرى النور بسبب التدهور السريع لصحة شافيز ووفاته المُفاجِئة.

في غضون ذلك، نشأ مفهوم مُنفصل عن جهود سمير أمين، الذي يعمل مع المُنتدى العالمي للبدائل. لطالما فكر سمير أمين في الأُممية الخامسة، وهي فكرة كان لا يزال يقدمها حتى أواخر شهر أيار/مايو عام 2018. ولكن في تموز/يوليو 2018، شهر واحد فقط قبل وفاته، تم تحويل هذا إلى ما أسماه أُممية العُمال والشُعوب، مع الإعتراف صراحةً بأن أُممية قائمة على العُمال فقط لم تأخذ بعين الأعتبار وضع الشعوب كانت غير كافية لمواجهة الإمبريالية. وقال إن هذا سيكون منظمة، وليس مُجرد حركة. سوف تستهدف:

تحالُف جميع شعوب العالم العامِلة وليس فقط هؤلاء المؤهلين كمُمثلين للبروليتاريا ... بما في ذلك العاملين بأجر الخدمات، والفلاحين، والمُزارعين، والشُعوب المُضطَهَد من قِبل الرأسمالية الحديثة.كما أن البِناء ينبغي أيضاً أن يكون مُؤسس على الإعتراف بالتنوع واحترامه، سواء كان أحزاب سياسية أم نقابات عُمالية أو منظمات شعبية أُخرى مُناضِلة، مما يضمن استقلالها الحقيقي... في غياب [مثل هذا التقدم الثوري سيظل العالم محكوماً بالفوضى والمُمارسات البربرية ، وتدمير كوكب الأرض.

إن إقامة أُممية جديدة بطبيعة الحال لايمكن أن يحدث في فراغ بل تحتاج إلى التعبير عنها من الداخل وكنتيجة لِبناء مُنظمات جماهيرية موحدة تتوسع على المُستوى الشعبي بالتزامن مع الحركات الثورية وفك الإرتباط بالنظام الرأسمالي في جميع أنحاء العالم. في رأي سمير أمين، لا يمكن لهذا أن يحدث بدون مُبادرات جديدة من عالم الجنوب لإقامة تحالُفات واسعة، كما هو الحال مع الصراعات الأولية المُنظمة المُرتبطة بحركة العالم الثالث التي تم إطلاقها في مؤتمر باندونغ في عام 1955، والنِضال من أجل نظام إقتصادي دولي جديد. هذه العناصر الثلاث، الحركات الشعبية، وفك الإرتباط، والتحالف عبر البلدان والقارات كُلها عوامل حاسِمة في تصورهِ للنضال ضد الإمبريالية. واليوم يحتاج هذا إلى الإتحاد مع الحركة البيئية العالمية.

أكدّ سمير أمين، أن مثل هذا النِضال العالمي ضد الراسمالية والإمبريالية، يجب أن يتسم بالجُرأة والمزيد من الجُرأة، والإبتعاد عن إحداثيات النظام في كل نقطة، وإيجاد طريقه المِثالي في مبدأ من كل حسب قُدرته، ولكل حسب حاجته، بإعتبارهِ تعريف المجتمع البشري. نعيش اليوم في زمن التطابق التام بين النِضالات من الحُرية والضرورة، مما يؤدي إلى نِضال مُتجدد من أجل الحُرية كضرورة. الخيار الذي أمامنا لا مفر منه: الخراب أو الثورة.

من دخل غرفتها فهو آمن

منى السليمية

يصلني صوتها السبعيني الواهن عبر رسالة صوتية بالواتساب بين حين وآخر. تسألني عن حالي وحال أمي وعائلتي، وتخبرني عن حالها وحال أهل بيتها، وعمّن تزوج منهم ومن أنجب، وتختم رسالتها بالشكوى من كورونا الذي حرمنا اللقاءات والزيارات.

وعلى الرغم من أنها تحتفظ في هاتفها بأرقام هواتف معظم أفراد عائلتي إلا أنها لا تتواصل معهم كما تفعل معي! تساءلتُ بيني وبين نفسي عن السبب، واهتديتُ أخيرا إلى أنه: صورة البروفايل!

أمي أسما التي لا تجيد القراءة أو الكتابة تعرفني في قائمة جهة الاتصال من صورة بروفايلي التي أحرص أن تكون صورتي الشخصية، ولا أحد في عائلتي يضع صورته الشخصية عداي. تهتدي إليّ بسهولة وتفتح صفحة الدردشة بيننا وتكبس على تسجيل الرسالة الصوتية وتبعث بصوتها.

هذا الخاطر جعلني لا أغير صورتي الشخصية إلا بصورة شخصية أخرى. أخشى أن أفقد رسائلها الصوتية لو وضعتُ صورة قمر أو وردة.

أمي أسما هي جارتنا من الجهة الجنوبية، نشأنا أسرةً واحدة في بيتين. هكذا كنا نعتقد لفرط ما كنا نقتسم الحياة بيننا وبينهم. امرأة كبيرة أنجبت طوال حياتها ثلاث بنات وولدا وحيدا. ولكنها فقدت ولدها الوحيد (حمد) في حادث سير في عام 1991، وبعده بثلاث سنوات فقدت ابنتها بدرية وزوجها في حادث آخر، تاركة لها حفيدة لم تتجاوز شهورها الستة.

كابدت أمي أسما مرارات الفقد بالصبر وتلاوة القرآن. في نهارات رمضان كنا ندخل عليها غرفتها لنجدها تمسك بمصحفها على حاملِه، وصوت أبو بكر الشاطري يصدح من مُسجّل أسود كبير. تتتبعه بإصبعها حتى كدنا نصدّق أنها تجيد القراءة فعلا. سألتُ ابنتها مريم: هل تقرأ أمي أسما؟ قالت: لا، ولكنها تحب فعل ذلك.

كانت غرفة أمي أسما ملاذنا الآمن، وليس بيتها كله بالضرورة، فغرفتها كانت البيت بكامله لمركزيتها، وبابها المفتوح على الدوام، وفيها تستقبل زائراتها من النساء. في طفولتي كانت أكثر بقاع الأرض أمانا. نهرب إليها من عِصيّ أمي وأبي. تؤوينا خلفها وتدافع عنا بيدها ولسانها من دون أن تعرف الجرم الذي اقترفناه، ولكنها تتصرف بواجب الدفاع عمّن يلجأ إليها طالبا حمايتها. هكذا عرفنا أنّ كل العِصيّ تموت عند عتبة باب غرفتها، وترد على حامليها: (ما راضية عليك/ عليش تضربيها)، فتعود العصا كسيرة كأن لم تكن وحشا قبل قليل.

عندما تخرجتُ من الثانوية وقُبلت في الجامعة، ذهبتُ للسلام عليها قبل مغادرتي الأولى من البيت للإقامة في السكن الجامعي، فدسّت في يدي مبلغا من المال لم يسبق أن حصلتُ على مثله فيما مضى.

تقدّر أمي أسما المتفوقين، وتمنحهم اهتمامها وعنايتها، وتجود عليهم بما استطاعت. وقبل ما يزيد عن عقدين انتقلتْ مع أهل بيتها إلى داخل سمائل، وبقي بيتهم في الجهة الجنوبية من بيتنا شبه مهجور. تباعدت الزيارات بيننا، وقلّ التواصل، ولكن رسائلها الصوتية عادت مؤخرا لتعيد وصل زمان مضى. أعتذرُ منها في رسالتي الصوتية عن التقصير وقلة السؤال، فترد علي بصوت أتعبه الفقد: «مسموحة حبيبتي، أعرفكم مشغولين ما فاضيين. تراني عارفتنكم وعاذرتنكم». فتزيدني من حيث لا تدري إحساسا بالذنب.

أشفق على أمي أسما من حدّة ذاكرتها التي تحرص في كل مرة على إضافة تفاصيل جديد للأشياء والأسماء والمواقف، وكأنها تريد أن تثبت للحياة أنها لن تقدر على سلبها تفاصيل من أحبتهم وغادروها. ومن كرم تلك الذاكرة ترفُّعها عن العتب، فتخيط العذر لمن يستحقه ومن لا يستحقه بمقاس كرمها الواسع، وتسبغه على الجميع كما لو كان آخر ما باستطاعتها أن تمنحه للناس المنشغلين أبدا في شؤونهم.

يتعبها في زمن كورونا أنها ليست قادرة على زيارة الناس، ولكن ذلك لا يمنعها من التوصية بعدم الخروج إلا للضرورة. وعندما فاض بها الشوق إلى أمي، قدّرت أيهما أوهن صحة، وخمّن كرمها أن صحتها أفضل من صحة أمي، فقررت أن تأتي هي إليها: «أمش ما تروم توصل عندي صحتها ما سادتنها، أجيها أنا. حتى لو نجلس في الحوش كل وحدة في صوب. ما هاجِنّي عنها».

ألحَظ الآن أن رسائلها الصوتية لا تحمل إلا البشارات، أما أخبار المرض أو الموت فلا وجود لها. تزفّ لي بشارات المواليد والزواج، ولم يحدث أن أخبرتني عمّن مرض وعمّن تعثر. وإذا ما داهمها عارض يكفي أن ألحظ تأخر رسائلها؛ لأكتشف تاليا أنها كانت مريضة، أو أن أحدا من عائلتها ليس بخير، فأعرف أن قدري المستمر مع هذه المرأة أن أعالج على الدوام تقصيرا لا يُسد، وإحساسا بالذنب لا يزول. وتُجيد هي بنيَّتِها الصافية إلهابَه من حيث لا تدري إذ تردد: «عاذرتنش حبيبتي».

أتخيّل أحيانا حزنها الشامخ وهي تُحكم لف «ليسو» صبرها عليه بإحكام حتى لا يتسرب إلى الآخرين. ولحسن الحظ لم أكن شاهدة على اللحظات الأولى لفقدها أبنائها واحدا تلو الآخر. ولسوئه أني شهدت لحظة وصلها نبأ وفاة أخيها قبلهم. كنتُ طفلة صغيرة تَعوَّدتْ أن تبدأ صباحها الباكر بالذهاب إلى بيت الجيران، وتصادفت لحظة دخولي إلى البيت مع لحظة تلقيها صدمتها تلك. رأيتها تبكي. وسمعتها تنشج. رأيتُ ذهولها عن كل أحد حولها بحزنها الداهم. عدتُ إلى البيت لأقول لأمي: «أمي أسما تصيح». كنتُ غرابا ينقل الأخبار السيئة. لم أتعلّم من أمي أسما بعد أن الخبر السيئ يصل ولا يقال.

أفكر الآن: هل كانت أمي أسما قاسية في يوم؟ كانت قاسية في مبادئها التي لا تتنازل عنها، فهي ترفض بحدّة إذا رفضت، وتُقبل بسخاء إذا أقبلت. ثمة أشياء لا تقبل في عرفها القسمة على اثنين. ولا يضيرها إذا أوجعت أقرب الناس إليها في سبيل مبدأ لا تستطيع التغاضي عنه أو التساهل فيه، حتى وإن كان ما تراه مبدأً يراه الآخرون وجهة نظر.

مؤخرا، يخطر لي كثيرا أن أحفظ صوتها في قرص ممغنط، أن أنقله من صفحة الدردشة في الواتساب إلى حافظة أكثر أمانا. كمادة تُسمع في الطريق إلى العمل فتفرشه دعواتها بالتوفيق والتيسير. في إحدى رسائلها بعثت تقول ردا على رسالتي: «صوتش جميل ماه»، فأحببتُ صوتي. هل كانت أول من قال صوتي جميل؟ ولكني أصدّق أمي أسما. أصدّقها مذ كنت طفلة أندسّ بجوار أمي في زياراتهما المتبادلة، وأعرف لا شعوريا أن ما تقوله لا يمكن إلا أن يكون حقا.
أحمدُ للواتساب أنه استطاع بهذه الخاصية أن يضمن تواصل أمي أسما وغيرها من كبار السن، من دون أن تعيقهم عدم قدرتهم على القراءة والكتابة من أن يرسلوا أصواتهم هدايا وصال في زمن يضاعف المسافات بين البشر.

قصة قصيرة

قاطِع كالسيف

جعفر الديري

عَدا أيَّام معدودة يعتمر فيها أو يزور قبر الرسولِ الكريم؛ أمضى حياته كالقارب المربوط للمرساة، كادِحا وعاملا، في سبيل تأمين لقمة العيش لأبنائه.
لكنَّه اليوم ورغم مرور إسبوعين كاملين على دخوله المستشفى، لم يُطلَّ عليه أحد من أبنائه، أو حتَّى يسأل عنه، اللهم إلاَّ عِبر اتصال سريع، أو رسالة واتساب مُملَّة.
وهذان الشَّابان، تلتقي عيناه بعينيهما، فيشاهد الشفقة والرحمة، كلَّما اختلس نظرة لأبيهما، زميله في الغرفة، يكاد زوُّاره لا ينقطعون صباحا ومساء.
دخلت ممرَّضة، ابتسمت له، وأعطته حبَّة الدواءَ، فتناولها بمرَارة مُضاعفة...
– متى يمكنني الرجوع للبيت يا ابنتي؟
ردَّت وهي تناوله كوب الماء:
– حتّى يأذن الطبيب.
قال بانزعاج:
– لكّنني مللت يا ابنتي.. مللت.
هزّت يدها في تسليم:
– ما باليد حيلة يا أبي.
وخرجت، فعاد واستلقى على سريره، ووضع ذراعه على وجهه، مُخفيا عينيه، مستنجدا بالنوم، محاولا الهرب تحت وطأة إحسَاسه بظلم أقرب الناس إليه.
وغفت عيناه، حين وصل سمعَه صوت مُحبَّب إليه، جعله يلتفت بلهفة، ليفاجأ برؤية ولديه وبناته الثلاث.
قال وقد ردَّت إليه روحه:
– أخيرا تلطَّفتم بزيارتي.
ابتسم أكبرهم وقال:
– مشاغِلُنا كثيرة ونلتمس منك العذر.
أحَاطوا به في مشهد أعاد له الثقة بنفسه والرغبة في الحياة، حين دخلت ممرِّضة أخرى، ابتسمت للجميع، وأمسكت براحة يده، وراحت تبحث عن مكان في ظهر كفِّه الذي تحوَّل لجلد قنفذ لكثرة ما غُرز فيه من إبر.
وغرزت الإبرة، فتأوَّه، وتلفَّت فزعا، وأدار عينيه في المكان، وسأل بصوت مرتعش:
– أين هم؟
ردَّت المُمرِضة:
– مَن هم؟
– أبنائي.. أين ذهبوا؟ كانوا هنا منذ لحظات!.
بان عليها الارتباك، فابتسمت مشجّعة، ومضت، فأحسَّ بكآبة لا تطاق، وسارع فتلحَّف بفِراشه، وأدار ظهره للشَّابين، خجلا من حزنه ودموعه.

الببغاوات ملت من ترديد كذب الحراس الذين لا يفهمون لغتهم*

تمرُّ على العامة كل يوم عشرات الأخبار العادية والمدهشة، مروراً يكاد يكون عابراً، سيأخذ وقته في لحظتها ويمضي. وحدهم النابهون سيلتفتون إلى ما يمكن أن يأخذهم إلى أفكار ناتجة من نضوجهم وقدرتهم على الرؤية بأكثر من شكل لا يخطر ببال الآخرين، يمكن أن يكون نوعاً من استشراف القادم. ولأن لكل خبر أو حادثة مغزى، أو هدفاً مكشوفاً أو مخفياً ينتظر الاستنباط من المطلع عليه، يتعين على المطّلعين أن يظهروا نتيجتهم الخاصة بهم إن فكروا خارج ما أراد لهم سياق الخبر. فكم من هذه الأخبار يمكن أن تكون ملهمة للكتاب والفنانين لإعادة صياغتها واظهارها للنور بشكل مختلف مجددا؟

زهراء المنصور

لفتت نظر الكاتب المسرحي المصري إبراهيم الحسيني حادثة عنونت ضمن أغرب القضايا حول العالم في العام 2008، جاء فيها أن سيدة انتقلت إلى منزل جديد بمنطقة دورست في إنجلترا، تملك ثلاث ببغاوات من مدة طويلة، تناهز العشرين عاماً أو أقل، وقد وضعتهم هذه السيدة في قفص بحديقة البيت، حتى اشتكى الجيران من الأصوات العالية التي تصدر من الطيور، والتي تنغّص عليهم أوقاتهم وتمنعهم من النوم ليلاً، حتى قام مجلس المدينة بالطلب من السيدة أن تقوم بخفض صوت ببغاواتها. فقامت بطلاء القفص باللون الأخضر ليشبه الغابات، وغيرت طعام الطيور إلى الفاكهة، وإلى أفضل أنواع الخضراوات، ولكن ظل صوت الطيور عالياً. فخاطبها مجلس المدينة مجدداً لإرغامها على إسكات الطيور، أو تخفيض أصواتها على أقل تقدير، ولكن السيدة استأنفت الحكم، فألغي باعتبار أنها لا تستطيع ولا تملك أن تفعل شيئاً.

كلفت هذه القضية المجلس ستة وعشرين ألف جنيه استرليني! هل توقف العناد إلى هنا؟ ليس بعد، لأنه لا قواعد ولا حدود لهذه اللعبة الطفولية المكلفة! فالسيدة رهنت بيتها مقابل عشرين ألف جنيه استرليني حتى تقوم بدفع الرسوم وأتعاب المحاماة! وكذلك الأطراف الأخرى المتمثلة في الجيران، حتى تكلف الطرفان مبلغ خمسة وأربعين ألفاً وسبعمائة جنيه إسترليني، وأيضاً ستكلف سبعين ألفاً أخر ى لإعادة النظر في القضية، ويجب أن تتوقف الخصومة، لكن شيئاً لم يتغير، لأن السيدة أسرَّت للقاضي بأنها رهنت بيتها لتثبت للمجلس البلدي أنه لا يستطيع إرغام الناس أو البببغاوات على الصمت!

هذه الحادثة ألهمت الحسيني ببناء نص مسرحي لا يبتعد كثيراً عن هذه الحدث المثير. لكن ما أضافه الكاتب من أبعاد وعمق لشخصيات نص «قضية إسكات البببغاوات» الذي توحي عتبته الأولى بعبثية ملفتة في ارتباط «القضية» بـ«البببغاوات»، مما يستدعي الانتباه، وكيف للبببغاوات أن تسكت إن لم تكن تتكلم أصلاً؟ ولا يبتعد المتن عن العنوان كثيراً. فالخط الرئيسي الذي استنبطه المؤلف هو عبثية الصراعات البشرية بكل أشكالها، صغرت أم كبرت، احتوت على خلافات حقيقية أو ساقتها الظروف الخاطئة نتيجة سوء فهم ما، هي صراعات لا معنى لها سوى تضييع الوقت/ الحياة، ودفع ثمن الأحقاد والخصومات مادياً ومعنوياً.

وكما تقنية مسرح داخل المسرح، ابتكر الحسيني نصاً قصيراً مكتملاً في البداية، استخدمه لاحقاً في عنونة أجزاء النص بشكل يضيف معنى أعمق، ويبعد التصنيف الرقمي الخالي من الروح، ذلك أن جمل النص لم توزع بشكل عشوائي، بل بما يشير لتقدم الحدث في متن نص «البببغاوات». وليس هذا غريباً على كاتب مبتكر مثل إبراهيم الحسيني، الذي يحوي تاريخه المهني في مجال الكتابة المسرحية عشرات الجوائز من مختلف البلدان، وليس داخل دولته فحسب. ولا يعتبر الأمر مجرد اختيار لجان تحكيم مكونة من أفراد –حتى لو كانوا مختلفين في كل مرة دخل الحسيني فيها مسابقة ما– لكن الدلائل الأخرى المتمثلة في تنفيذ عروض كثيرة، وبرؤى مختلفة لنفس النص المختار، يدل على قدرته في الوصول إلى ذائقة أكبر عدد من المخرجين، وبالتالي الجماهير التي تتنوع من المناطق الصغيرة في مصر والبلاد العربية، حتى العرض في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعيداً عن التميز الذي حصده نظير إنجازاته؛ يشتغل إبراهيم الحسيني على أفكار متنوعة في نصوصه المسرحية، كما يعتني عناية خاصة بتسمية هذه النصوص بعناوين لافتة، وقوية، وجانبة للقراءة.

ثم لماذا البببغاوات تحديداً؟ لمَ لَمْ يعمل الحسيني على تغيير الطيور، أو استبدالهم بحيوانات أخرى لها صفات واضحة؟ أغلب الظن أنه اختار البببغاوات لأنها «ظاهرياً» مطيعة، تفلح في ترديد الكلام مع أي تدريب لمدة زمنية محددة، وهو ما كانت مالكتهم «هويدا» تطلبه، حتى وإن لم تصرح به، رغبة منها في سماع ما تود أن يقوله لها الآخرين. لذا تردد وراءها الكلام الذي ترغب به، فهو يشعرها بالرضا/ السيطرة، وبالجو العائلي الذي طالما رددته هي على طيورها. أما المسألة الأخرى، فهي المتعلقة بالصوت، إذ تعد البببغاوات من أكثر الكائنات المزعجة بحدة صوتها التي يبلغ (132) ديسيبل، فيما يبلغ الصوت البشري العادي (60) ديسيبل!

زارا، وجيكا، وسندس هي البببغاوات التي استنطقها المؤلف من أجل التعبير عن دواخلها. ذكرين وأنثى، حوارها مستمر طوال

الطويلة بديلاً للعائلة، وطبطبة عاطفية، وحرمانها منها يعني التخلي عن الأجواء الأسرية.. الجيران من حقهم التنعُّم بالهدوء في مساكنهم، وأي إزعاج متواصل يخولهم للشكوى بدون ملامة من أحد.. والببغاوات، مصدر الحدث، لها حق الحياة الطبيعية في إطلاق أصواتها التي خلقت بها، بالإضافة إلى حق توفر الشريك من قبل المالك/ الكفيل حتى تكون حياتها طبيعية.

هكذا يأخذنا النص إلى فسحة مغايرة عن شجار بين سكان مكان واحد بسبب قضية نعتبرها تافهة! رغم تحفظ «هويدا» على اللفظ، حتى استبدلها الضابط بالقضية «البسيطة»! وماذا عن أنواع التفاهات الأخرى التي تخترق الأسر لأسباب أصغر من هذه؟! وخلافات أصدقاء عِشرة طويلة على موقف طارئ؟ أو حتى صراع زملاء عمل على منصب وظيفي مؤقت؟ كان الحسيني يدفع قارئه إلى التأمل ملياً قبل الإقدام على خلاف يظنه هيناً، ويكلفه من العمر والوقت والأعصاب وغيرها ما لا يمكن حصره، والذي يأتي غالباً من مستصغر الشرر، وكلها أسباب مؤقتة لا تستحق الصراع الذي تناله. وفي سبيل إظهار الأبعاد الأخرى لشخصيات النص، لن يمنع الاحتداد في حجب فضول الجار لطفي، وإلحاحه في معرفة الكلمات البذيئة التي تقولها الجارة الأخرى «ليلى» لزوجها أثناء علاقتهما الخاصة، «وقاحات وشتائم عنيفة وسادية»، وهكذا يظل لطفي يسأل بإلحاح طول الوقت عن هذه الألفاظ التي لا تضيف للقضية الأولى محل اهتمامهم شيئاً، بينما زوجته في المنزل «صامتة كحجر!»، ونموذج لطفي المتلصص على التفاهات موجود في الواقع، ويتكاثر بشدة مدهشة.

وبينما تشعر «المالكة» هويدا أن الببغاوات هي أسرتها/شعبها – كما تسرد لنا الأقصوصة في بداية النص –، وحتى تحل هذه المشكلة، يبادر الضابط بمركز الشرطة القاضي/ الحاكم/ رمز العدالة/ صاحب السلطة، في إلقاء بعض الحلول العقلانية الممكنة، والعامة أيضاً، من حيث إمكانية تطبيقها من نموذج الأسرة الصغيرة مروراً بكل النماذج التي تكبرها، وحتى نموذج الدولة والشعب، وشكل العلاقة بين طرفين يجمعهما نفس المكان، وبالتالي تسري عليهما نفس الأحكام، وتتلخص هذه الحلول في منح الببغاوات مزيداً من الوقت والاهتمام/ التعرف على مشاكلها عن قرب/ تقديم الطعام الجيد لها/ إسماعها بعض الموسيقى/ عدم إرغامها على ترديد كلماتها/ ومنحهم بعض الرفاهية التي ستغير في سلوكها العدواني حتما، وهي نصائح ثمينة تستحق الإنصات والتأمل لإنقاذ علاقات كثيرة تكاد أن تهدم في مجتمعاتنا. ومن الملاحظ هنا أن العلاقة تشعبت عند هويدا إلى شقين: مشكلتها القائمة مع جيرانها، وعلاقتها مع الببغاوات التي باتت تحتاج إلى مد جسور جديدة في علاقتها بها، وهذا يعني تصدّع جدار الاستقرار «المتخيل» لديها من الداخل والخارج، ومعركتها التي حميت أكثر.

ومن المهم ملاحظة أن المؤلف لم يُشِر بتاتاً إلى العلاقة «الأسرية» التي تجمع هويدا بـ«ممتلكاتها» من الببغاوات المستاءة من رائحة المعقم القوية ورذاذ العطر الذي خنقها. أما الطعام الفاخر الذي أتى به العامل، فقد أكل معظمه خلسة، لأنه خارج الرقابة! مشكلة هويدا أنها «سلطة» تصدر الأوامر لأفراد لا علاقة لهم، ولم تجرب أن تقترب مادياً وشعورياً من أسرتها، ولو فعلت لكانت ستشعر بوحدة «زارا» لأنها ستلاحظ ببساطة أنه الوحيد دون الطيرين الآخرين، وربما ستسعفه بأنثى جديدة تشاركها القفص، كانت ستحس نفورها من رفاهية العطر الذي لا يتناسب مع طبيعتها الحرة، أو أقلها لن تضعها في أيدي عمال يشتهي أحدهم أن يتذوق لحم الببغاء على طبق غداء مع حساء لسان العصفور!

****

أي هويدا:
افتحي لببغاواتك الأبواب.. قبل فوات الأوان.
الجملة مستلة من داخل النص.

الوقت، لكنه ليس حواراً يخص سيدتها التي تمنحها الرفاهية – من وجهة نظرها – وتنسى الأساس في كون زارا عازباً في قفص زوجين محبين، يطالب بزوجة بدل أن يشارك جيكا سندسه! وهو حق كل كائن حي، خصوصاً في حال كونه محبوسا في قفص وله كفيل يتولى أمره.

وقياساً على ذلك، يمكن إدراج الإنسان تحت هذا المفهوم؛ حيث تتعدد الأقفاص التي تحوطه وتمنعه من عيش الحياة التي يرغبها: قفص الأعراف، وقفص العادات والتقاليد، وقفص أولوية اختيار الأهل، وقفص الصفات الشخصية للفرد نفسه التي تعرقله؛ كالتردد، والضعف، والخوف، حتى يأتي آخر قفص يضمه في رحلته الأخيرة للحياة التي ضيعها.

ولم يكتفِ الحسيني باستنطاق الببغاوات، بل أسبغ عليها صفات إنسانية –على حد علمنا – لأن عالم الطيور والحيوانات له نظامه وقوانينه التي يشرحها علم خاص بها. هنا كان الصراع الغريزي من أجل أنثى، هذه الأنثى مرتبطة أصلاً بأحد الذكرين، لكن غريزتها أيضاً تقر أن ثمة صراعاً عليها/ على امتلاكها، فتصهل بغنج مفضوح لإذكاء المنافسة عليها! بل وتصرح بها علنا: «أحب أن يتقاتل الذكور بسببي.. هيا، مزّقا بعضكما من أجلي»! يعلو صوت الشجار ليحدث ضجة كبيرة، فينزعج الجيران ليعودوا للشكوى على صاحبة الببغاوات، محدثين دائرة عبثية تبدأ وتنتهي عند نقطة معينة، ولا شيء يدعو للتقدم، بالإضافة إلى أن لكل شخصية منطقها «العادل»: هويدا وحيدة، وتجد في الببغاوات مع العشرة

لعبة نيوتن

حين تنبعث كلمة صادقة من فم محبّ يرتد أثرها على المتلقي بحسب حميمية نبرتها لديه ومكانتها في قلبه.

ألا يشبه هذا التصور الرومانتيكي «قانون نيوتن» الثالث في الحركة؟ الذي يشير إلى أن لكل فعل رد فعل يساويه في القوة ويعاكسه في الإتجاه..

بتول حميد

يجد هـذا الـقـانـون تفسيرات منطقية للطائرات في الفضاء، والألعاب النارية في الهواء.. ففي الهواء والفضاء لا توجد «أرض ثابتة» تنطلق فوقها أو تتمسك بها فتطلق نفاثات من ورائها كي تنطلق للأمام برد فعل معاكس. صحيح أنها «نظرية فيزيائية» وخاصة بحركة المادة؛ ولكن بإمكاننا تطبيقها على العلاقات الاجتماعية. إذْ يمكن ملاحظة نتائج هذا القانون حتى في تربية الناشئة، حيث ينسل من بين فظاعة الشدّة والقسوة ردود فعل عكسية ماثلة على شخصية الطفل حين يستقل بذاته وحـين يمعن أحدهم في العطاء وهو يستذكر فصول حرمانه!

في النهاية نحن بشر وتشكيلنا الجوانيّ يحمل الكثير من المتناقضات والمفارقات العجيبة، لسنا عملية حسابية محكمة أو طائرة بوينغ.. فنحن نملك إرادة تلقائية يمكنها التأثير على «قانون نيوتن» وتخلق حـالات استثنائية يثبت فيها البعض على مواقفهم رغم ردود تواتر الأفعال داخلهم.. غير أن «قانون نيوتن» خارق جداً لدرجة أن الأغلبية تتراجع وتعود لسابق عهدها في رد فعل معاكس!

أحـدث مسلسل «لعبة نيوتن» تبايناً فارقاً في التلقي، ومنذ حلقاته الأولى يمكن أن تستشعر بمزاجه المختلف وبخصوصية تعلن عن نفسها من دون أن يستنبط المشاهد سياقاً أو نهاية. تتقمص الممثلة المصرية منى زكي دور المرأة الخاضعة التى لا تملك قوة فاعلة تؤهلها للانتصار في صراعات الحياة، أو ربما هذا ما تتخيله هي ونتخيله نحن كمشاهدين؟

أمـام علاقة تقليدية يطغى عليها الرجل الـذى يشعر بالمسؤولية المطلقة تجـاه كل جوانب الحياة وانعدام الثقة في حسن تصرف الزوجة وكياستها، وبالتالي تسعى لانتهاز الفرص لتبرهن لمن حولها أنها جديرة بالثقة، وفي ظل ذلك يخططان لولادة طفلهما الأول في أمريكا طمعاً في حصوله الجنسية، ولكن المغامرة تتعقد وتأخذهما إلى مواطن لم تكن في الحسبان، خاصة بعد سفر «هنا» إلى أمريكا منفردة بعد فشل محاولات. شكل التوتر سمة افتتاحية لاهثة جعلتنا نتابع بشغف الرحلة الغامضة. ثمة عمق زمني في التصوير لكل مشهد نعيشه مع «هنا» منى زكي في نيويورك، حيث تعود للزمن الماضي للقاهرة في نفس اللحظة لاستقرائه بناءً على المعلومة الحديثة التي قدمها السيناريو.

الغربة والشتات يخبرانها أنها تملك الكثير وبأن الإنسان عند المواجهة الحاسمة يتفاجئ بقوة كامنة لم يكن يتصور بأنه يمتلكها.

تتوالى الأحداث في كل مشهد وفق ميزان ذهبي شديد الحساسية؛ لا يتحمل إيحاء بل قصد ولا تلعثم بلا حشرجة أو نظرة بلا هدف، وهكذا تنسجم الدراما بكل أبعادها البصرية والمسموعة.

يأخذنا السرد بين الماضي القريب والحاضر للتعرف على تفاصيل الإنجاب الصعبة التى واجهت الـزوجـين، مع الحفاظ على زيـادة التعقيد بدخول تفاصيل وشخصيات جديدة إلى السياق، سواء مع حازم فى مصر مثل بدر «سيد رجب» و«أمينة» عائشة بن أحمد، أو في أمريكا مثل مؤنس «محمد فراج» وزوجته سارة. لنجد أنفسنا أمـام معالجة مبتكرة وذكية ذات عمق اجتماعي عبر مجموعة من الشخصيات المرسومة بمهارة شديدة، وبسرد يغلفه التشويق والتوتر والتلاعب بالخطوط الزمنية كعوامل جذب رئيسية، وهى العوامل نفسها التى ستتحول لهدف محوري لاحقاً.

اتخذ المسلسل محاور صادمة عقب ولادة هنا، ومنها قـرارهـا المتسرع بـالـزواج من «مؤنس» المتشبث بأهداب الدين والذي يرتدي الساعة فى اليد اليمنى مخالفةً لليهود، ولكنه فى الوقت نفسه لا يتورع عن الكذب والخداع والانسياق لمآربه الشخصية.

اعترف «مؤنس» بحبه لـ «هنا» بعد أيام قليلة قضتها في ضيافته بعد مواجهة انفعالية بينهما، تلاها تطليق حازم لـ«هنا» وتهديده لها والتشكيك في شرفها وبحثه عن حبّ جديد مع أمينة، وهي أحداث حافظت مجملاً على عنصر التشويق؛ حيث يبنى الصراع بين الزوجين على سوء فهم كل منهما للآخر والمبالغة فى رد فعله رغم عمق الحب بينهما وكأن المسألة لا تعدو كونها شجاراً طفولياً بين عاشقين،

وهو ما رصده المسلسل في رحلة تحولهما بعد عودة هنا إلى القاهرة بعد زواجها من مؤنس مرتدية الحجاب تتلمس اهتمامها بالمادّة فيما يتحوّل حازم بشكل عشوائي ويتجاوز حادثة قتل شاهين ولا يبقى معه منها سوى الرنين الصوتي لصوت النحل، حيث جعل النحل يتسبب فى موت شاهين، ويتجاوز أزمته الأخلاقية فى إنتاج العسل بالأفيون بل إنه يتجاوز علاقته الدافئة بابنه الذى انتظره لسنوات وهو الذي يمثل دوره لمحور الارتكازي الذي تتقاطع عنده جميع خيوط اللعبة.

تفاصيل العناصر الإخراجية كانت جلية في التمثيل وإدارة الممثلين ليخرجوا أفضل ما يملكون من مهارات في الأداء بحسب تغيّر الموقف وموقعه العاطفي لتوظيفها بأقصى حد. هذا لا ينفي ضعف بعض الخطوط، إذ لم تنلْ «سارة» زوجة «هنا» بمساحة تمثيلية أكبر باعتبارها حلقة مهمة في «اللعبة». كما لا يُبرر كيفية إرسال «حازم» رسالة صوتية يُطلق فيها «هنا» ثم يدّعي بأنه لم يستطع حذفها، رغم أن هذا متاح بكب بأسرع بديهية إلكترونية؟ كيف يتورّط في جريمة قتل ولا يحدث إثرها أي تتبع جدي من السلطات الجنائية؟ كيف تُعالج عقدة القتيل بكل خفة؟

على الرغم من الهشاشة في هذه المواضع لكن المسلسل، يمثل خروجًا على التقليدية تحليقاً نحو الابتكار على مستوى البناء المركب، والأسلوب السردي ورسم الشخصيات وغيرها من الأسباب التى تؤكد أنه عمل مهم وجدير بالاستيقاف. إذْ شكّل المسلسل بناء درامي مركب متعدد الطبقات وحبكة مثيرة تنمْ رؤية إخراجية واعية لتامر محسن أكد فيها على قدرات إبداعية وهوية خاصة.

ويبدو أن كون تامر محسن شارك في تأليف المسلسل جعله يكمل تلوين الصورة الذهنية للأحداث على الشاشة بشكل يحقق هدفه ورسالته وحلمه كما تمنى.. لا كلوحة باهتة بل أشبه بصورة فوتوغرافية حقيقية !

نجاة المتروك.. القارئة النهمة التي هزمت المرض بالقراءة

تقول: «في مارس ٢٠١٤ كنت أرقد في مستشفى السلمانية إثر نوبة «سكلر» حادة ألمت بي. صادف ان قرأت عبارة تحدي الألم بالقراءة، وكان التحدي قراءة مئة كتاب كل عام.

نعيمة السماك

الهمتني تلك العبارة للكاتب السعودي مروان بخيت، قررت حينها أن خوض ذلك التحدي، بدأت اقرأ، وأقرأ وأقرأ، واستطعت حينها بنهاية ذلك العام أن أنتهي من قراءة 72 كتاباً، حتى وإن لم أكمل المئة كتاب، لكني كنت حينها راضية عن نفسي، خاصة أنني لم أبدأ القراءة منذ بداية العام.

إن ما حدث كان مفاجأة بالنسبة لي، تباعدت نوبات الألم إلى حدٍ كبير وخفّت كثيراً، لدرجة أنني نسيت معها انني مصابة بالسكلر(فقر الدم المنجلي)».

إنها القارئة النهمة نجاة المتروك التي تعرّفت عليها قريباً جداً، عبر حسابها في الإنستغرام، حساب جميل وأنيق يهتم بعرض الكتب، وكتابة ملخصات عنها. تحتفظ نجاة بمكتبتين في بيتها، واحدة كبيرة وأخرى صغيرة حصلت عليها كهدية من أمها في عيد ميلادها.

نجاة لا تعير كتبها لأحد. كل أصدقائها ومعارفها يعرفون ذلك.. نجاة تقرأ كل الوقت، لا وقت محدد عندها، بل تقرأ أغلب الوقت.

سألتها: وإذا كنت تلتهمين الكتب التهاما، فهل تكتبين؟

جاء جوابها صادماً لي: «لا أكتب. كنت أتوقع أن كل من يقرأ كثيراً يكتب أو متعلق بالكتابة، بشكل أو بآخر». «ليس بالضرورة أن يكون القارئ كاتباً" – أردفت.

«لكني أكتب عرض وملخصات للكتب التي أقرأها وأنزلها في حسابي في الإنستغرام». وسألتها سؤال يؤرقني: كيف تجدين كل هذا الوقت لقراءة كلّ هذا الكم الهائل من الكتب؟

أجابت: "أنا غير مرتبطة بعمل رسمي، وأيضاً ليس لدي مسؤوليات في المنزل، غير مطلوب مني ان انجز أي أعمال، ولكني أساعد أمي قليلاً بين حين وآخر».

وأين تجدين كل تلك العناوين؟

«بعض العناوين احصل عليها من الأصدقاء، سواء من البحرين أو من خارج البحرين، ومن المكتبات، أنتقي الكتب التي أود قراءتها بعناية وأغلب قراءاتي هي روايات».

نجاة التي تمكنت من تحويل نقاط ضعفها إلى نقاط قوة.

تحدّت الألم ولم تستلم، تقول: «هل أستطيع فعل شيء. نعم نستطيع فعل الكثير إذا ما استطعنا فهم نقاط قوتنا وضعفنا وبحثنا عن الفرص الكامنة في ثنايا المشكلة أياً كان نوعها».

بيت حصّــة

في الستينات من القرن الماضي، كنت أتردد وبكثرة، خاصة في الشتاء وأيام المطر، على بيت عمتي مريم، الكائن في منطقة النعيم الغربي، حينها كنت صبياً، وكنت أحب عمتي جداً، كان بيتهم المقام من السعف يقع في آخر منطقة النعيم الغربي، وأذكر أنه لم تكن توجد سوى ثلاثة بيوت متقاربة، وكلها من السعف، أحد البيوت بيت (ابو شجُور) وكان مقابل بيت عمتي مسجد من الحجارة ملاصق إلى بيت كبير لفرد من عائلة ذات نفوذ، كانت بوابته كبيرة تدخل فيها سيارة أحد أصحاب البيت، ويبعد عن بيت عمتي أمتار، ولا يوجد بيت امامه او إلى جانبه، بالقرب من البحر المحاط برمل ناعم يمتد إلى بيت عمتي.

قاسم الحلال

البيت المذكور مبنى على طريقة كلاسيكية، مستطيل، ويقع مكانه الآن مغسلة برايت ومحطة البترول وأسواق المنتزه، على طوله نوافذ طويلة من الأعلى حتى الأسفل، في الأعلى مقنطرة (ARCH) وحواجز مكسوة بالزجاج البلوري الملون، يعطي جمالاً كلما سطعت الشمس عليه مرسلاً ألواناً على السجاد الإيراني الفاخر المتلاصق، وفي الفناء الكبير اثنتان من النسوة الافريقيات يُحضرّن الطاولات وقت الاحتفالات النادرة جداً، حيث ان حصة، صاحبة المنزل، التي كانت في العشرينات من عمرها، تعيش مع جدتها التي لا تطيق تواجد غرباء في المنزل.

عرفنا حصة لتواضعها وعلاقتها مع عمتي حيث كانت دائمة التواصل معها وصارت تعرفنا، وكثيراً ما تزور عمتي التي هي بدورها تحبها وتحب الجلوس في العريش وتستأنس حينما يسقط المطر ويخترق السعف، كنا نستأنس لمجيئها، ونلتف حولها لجمال ملابسها ورائحة عطرها وعمتي تنهرنا وتقول لنا (اتباعدوا ولا تلعوزون الشيخة)، وترد حصة (خليهم شحلايلاتهم)، وكثيراً ما تصطحبنا إلى بيتهم وأحياناً تنادينا من بعيد من أمام منزلها، حيث تجلس على (دكة) الباب وأمامها كلابها الكبيرة، تقوم بإطعامها اللحم، لكننا نخاف من الكلاب لأنها تنبح إذا أردنا أن نقترب، وتقوم حصة بإسكاتهم، وتدخلنا إلى المجلس وقبل أن ندخل تدعنا نغسل أرجلنا المتسخة حيث كلنا حفاة لا نلبس نعلاً.

وكثيراً ما تنهرها جدتها، وتقول لها بصوت عال: (لا تدخلي هؤلاء وارجلهم قذرة إلى الميلس)، وترد عليها حصة، لا...أنهم يغسلون أرجلهم في الحوض. تدخلنا إلى المجلس وتقول لنا...(اليوم ياييه..فوان يديد...آنه بشغله وانتو صفقوا)، وفي كل مرة تأتي بنا نفرح كثيراً، أحياناً تنادينا لتعطينا أكلاً، لكن نفرح إذا تنادينا إلى الغناء، تأتي الينا بالحلويات والمكسرات، فقط لكي نصفق.

كانت حصة طيبة جداً ومتواضعة رغم أنها لا تعرف إلا عمتي، لكن صدى سخاءها في كل المنطقة، وتحافظ على الزيارات في المناسبات، وتتكل على عمتي في زيارة البيوت البعيدة عن بيت عمتي. وفي رمضان كانت تأتي بالأطباق بنفسها، تأتي بصحن كبير من الثريد وقت الفطور، ولأن عمتي تقوم بتربية الأبقار، تبادلها بالحليب واللبن والسمن وال(البة).

كانت علاقات جميلة، كانت المنطقة لا تعيش التناقض الذي تعيشه اليوم، حيث هذا الصخب، وهذه الضجة.

كنت أتحين الجمعة لزيارة بيت عمتي، حيث أستأنس للعمل معها في زريبة البقر، كانت تطعم البقر من النواة المطهي التي تخلطه (بالشوار)، أتذكر رائحته، كانت تربى الدجاج والأغنام، حينها من يمتلك هذا الرصيد من الحيوانات الداجنة، لا يحتاج إلى شراء أي شيء من خارج البيت.

كانت الأبقار تتغذى في قطعة كبيرة من جذع النخلة مجوفة تسمى ال (قرو)، أتذكر بعد طبخ الطعام تسكبه فيه.

كان زوجها إبراهيم الناري يصنع (القرو)، وهو الجذع المجوف الذي تأكل الأبقار فيه طعامها. وإبراهيم بائع الكاز (كيروسين) مات في حادث هو وحماره، كان يشتري أكياس النواة والشوار للبقر، وهذا الذي جعل عمتي تحزن حزناً شديداً لفراقها الزوج الطيب الحبيب، والعصب الاقتصادي للبيت، وقد افتقده حتى أبناء المنطقة، حيث يقوم بالتجوال لبيع الكاز (الكيروسين)، يغني (كاز...كاز...كاز، ويش حالته راعي الكاز...شقق خلاقينه راعي الكاز) حتى تأتي إليه النساء حاملات القوارير لشراء الكاز.

مطاردة الأفكـــــار

نصوص: عبدالله زهير

العصافير والحمائم نامت وآوت إلى أعشاشها
وأنا مسافرٌ أبداً شريد في سُهدٍ في غابات الأفكار وصحاريها
كنت أبحث عن فكرة غامضة
مرة رأيتُ أني أصحبها في حديقة بهيجة
فجأةً تحولت الحديقة إلى قفر موحش
واختفت الفكرة مثل جرادة إلى مكان بعيد
اختفت إلى الأبد.

تحت سماء أبي العلاء
ليس شعراً هذا الذي تكتبه أيها الضرير
السادر في بصيرته..
إنه غمام لا يتوقف عن مطره الصاهل
إنه حوار أبديّ
بين الحياة والموتِ
بين السنابل وشلال الوقت الذي لا يتوقف
تلك التي تراها بقلبك
ليست أشعاراً أيها المطفأ العينين
إنها شموس أخرى تتطلع إلينا بعنفٍ
ونحدق فيها بغبطةٍ..
إنها كواكب من كلمات لا تضمحلّ...

لقطاء أبديّون
هذه الأرض حبلى سفاحا بنا
نحن أبناؤها اللقطاء
لقطاؤها الذين أباهم قطّ لم يعرفوا
ولن يعرفوا...

يأتي ويغيب ولكني لا أعرفه!
يصاحبني شيء لا أعرف ما هو..
هل هو تعب جسمي الشفّاف؟!
صديق لا يتكلم
يصحبني عند النوم
وعند استيقاظي يأتي ويغيب..
هل هو السأم المخزون بهاوية هذا الصدر؟!
يأتي ويغيب ولكني لا أعرفه!

تناسخ

من يدري...!
هذه الورقة اليابسة التي أقلبها الآن بين
يديَّ لأكتب عليها شيئاً عظيماً أو تافهاً،
وقد أمزقها بعد قليل من فرط اليأس،
ربما كانت شفاه كاعبٍ حسناء
فكان حريّاً بي
أن أقبلها ملءَ شفتيَّ قبلةً لائقةً
كما لو أنني أُقبل شفاهَ عاشقةٍ بعد لهفة
طويلة

مخطوط اليأس
رآني أحدُ الورّاقين
أكتب بِخطٍ متلولبٍ ومتنٍ محفوفٍ بالفوضى
وهوامش مغبّشةٍ
فقال: هذا مخطوطٌ ينبئ عن يائس
من فرط الحَيْرةِ وضراوةِ الشَّك...

القُبح جمالٌ صعب

محمد شاهين

أوديب ابن الملك لايوس والملكة جوكاستا، يتزوج من والدته عن غير قصد، وينتهي به الأمر بإنجاب أربعة أطفال. في النهاية، اتضح أن أوديب قتل والده أيضاً. كل هذا، بالطبع، لم يكن على علم به.

ندماً يكتشف أوديب حقيقة أفعاله، يشعر بالرعب وكراهية الذات. أعمى نفسه بعد أن شهد انتحار زوجته، وراح يكرّس نفسه لعقوبته ويخطط للسيرعلى الأرض كمنبوذ حتى نهاية أيامه.

هكذا هو الخطاب المسرحي، فمنذ نشأته قد كان نتاجاً للمفاهيم الجمالية كالجمال والجلال والقبح ومولداً لها في الآن نفسه، إذ إن التراجيديا تمثل ذروة التسامي أو الجلال، لأنها وبحسب رأي (أرسطو) محاكاة لفعل جليل، له مدى محدد، ولغة مُزينة، وتثير الخوف والشفقة فتنتج المتعة النفسية والجمالية وتحقق التطهير، الذي ينقي النفوس، لكنها في الوقت نفسه تكون حاضنة لما هو قبيح كما أظن، وذلك هو سلوك البطل السلبي اللاواعي الذي قاده الى ارتكاب الخطأ التراجيدي الذي ارتكبه (اوديب) والمتمثل بزواجه من أمه وقتله أباه كما ورد في الاسطورة آنذاك، بوصفها من اهم مرتكزات الدراما الى جانب الطقس الديني.

ولذلك عندما شعر أوديب أنه هو سبب الرجس أو القبح، الذي عمّ طيبه، فقع عينيه نابذاً الفعل القبيح والسلبي الذي ارتكبه، ولا يحدث فعل الفقع امام الجمهور لأنه عنيف وقبيح، وبهذا تحقق التراجيديا القيم الجمالية والإنسانية والنفسية من جراء معالجة القبح كما أظن، مع يقيني أن القبح في التراجيديا قد استخدم كأداة لتحقيق الجمال الفني والإنساني على الصعيد التأويلي النابه، لكنَّ العنف هو الآخر وسيلة لتحقيق التطهير لدى المتلقي.

إن المخرج المسرحي لا يُجمل القبح أبداً، بل يتخذ منه مادة تعبيرية، يضفي عليها قدراً ملموساً من مشاعره وانفعالاته وأخيلته وخبرته، ينتج منها عملاً جميلاً مدهشاً يثير الاهتمام، فيتحقق عندئذ التواصل ومن ثم الاستجابة الجمالية لدى المتلقي.

أوديب، عطيل، هاملت، الملك لير، ماكبث هي أسماء جسدت في لحظة ولادتها المآسي والقبح، جميع هذه المآسي القبيحة نتلذذ بها كقراء وكجمهور، ولهذا فإن القبح جمال صعب.

«الساق على الساق» لأحمد فارس شدياق

حكاية أديب علّمه الترحال

سوسن حسن

يقال بأن خيوط السرد تكشفت أمام القارئ العربي مع رواية «الساق على الساق» لأحمد فارس شدياق. هل هي رواية أم سيرة ذاتية و أين موقع الشعر من كل ذلك؟

يروي كتاب "الساق على الساق" حياة البطل «الفرياق» منذ ولادته وحتى منتصف عمره. ويرمز هذا الاسم الى اسم الكاتب وعائلته. قد نطلق عليها رواية تشكيل على غرار «سنوات تعلم فلهلم مايستر» لغوته، الا إن لهذه الرواية مذاقاً آخر يدمج الشعر مع السرد. بروح استكشافية، سرد شدياق مغامرات الفرياق أثناء تنقله من موطنه لبنان إلى مصر ومالطا وتونس وإنجلترا وفرنسا، ولأن في السفر غذاء للفكر، كانت هذه الرحلات تمدّ المؤلف بموضوعات غنية تتضمن مناقشات مشوقة متنوعة المجالات كالجهل وفساد المؤسسات، وحرية الضمير وحقوق المرأة، والعادات والتقاليد بين الأوروبيين والشرق أوسطيين والفروق بين الآداب الأوروبية والعربية المعاصرة مع الاحتفال بتفرد وجمال اللغة العربية الفصحى.

لم تكن لهذه المواضيع فرصة للنقاش لولا السفر: «بمجرد أن قرر مغادرة الجزيرة للذهاب إلى أرض الإنجليز، قال له الجميع: "أنت ذاهب إلى بلد لا تظهر فيه الشمس أبدًا"، قال أحدهم ؛ وأضاف الآخر: "تطأ أرضاً لا ينبت فيها حنطة ولا خضر. لن تأكل إلا اللحم والبطاطس صباحاً ومساءً!

ولكن عندما وصل إلى إنجلترا، وجد أن الشمس كانت هي الشمس ذاتها، والهواء هو الهواء، والماء هو الماء، هناك الرجال والنساء، والنساء والرجال، المنازل تحتوي على أناس، المدن مزدهرة، والأرض وفيرة بالمحاصيل، ومغطاة بالمروج.

لحسن الحظ لم يستمع إلى مخبريه. أيها المسافر، إذا كنت قلقًا بشأن الاضطرار إلى التخلي عن النرجيلة أو تدليك قدمك قبل النوم، فاعلم أن هذه الأرض المليئة بالوفرة ستظهر لك ما يكفي لنسيان الجنة التي تعيش فيها عادةً.

كيف تتنازل عن السفر لبلدٍ لا يتكلم لغتك، إلى موطن فكرة مختلفة عن وطنك؟ قد تحتوي قبعة الغريب على أفكار وانعكاسات لم تمس أبدًا الجانب السفلي من أنفك: قد تجعلك تتأمل، وقد تجعلك ترغب في معرفة العقلية التي تقبع فيها هذه الأفكار الجديدة.

لو لم يسافر شدياق، ولو لم يقرأ أعمالاً عالمية بلغتها الأم، فلربما ما كان أحدث التغيير الذي أحدثه في الأدب العربي. ليس لأن الأدب العربي كان بحاجة للتغيير، ولكنه في ذلك الوقت كان أكثر ميلاً للشعر من السرد، فأتى شدياق بفكره المنفتح على الأديان والأفكار المختلفة لاستحداث أنواع سردية جديدة، حتى صار البعض يقول بأن السرد بدأ مع شدياق. ساقت رضوى عاشور على سبيل المثال بأن الرواية العربية الأولى قد تكون الى حد كبير "الساق على الساق" . لا شك في كون أحمد فارس شدياق شخصية من الشخصيات التأسيسية في الأدب العربي الحديث. ولد في 1805 لعائلة مارونية بارزة في لبنان، وأصبح كاتباً وناشراً رائداً وشاعراً ومترجماً، لا وبل كان له دور أساسي في تطوير الصحافة العربية.

ترجمت رواية «الساق على الساق» إلى لغات مختلفة كالإنجليزية والفرنسية، و في مجلدات ثنائية اللغة. بمهارته، جعل شدياق اللغة متجانسة، ونظم النثر من دون تغيير الهجاء، فكان للسرد مكان للشعر مكان:

«بالجملة فإنّ فكري كان دائماً يحوم على الشّعر، فكنت أتصدى لنظم كل ما يخطر ببالي من المعاني، غير أنّي كنت أشعر، وأنا أشعر بأنّ بضاعتي فيه مزجاة؛ لأنّي كنت أجد في الكتب من الألفاظ اللغويّة ما لم أدرك معناه، فلم يكن ما أدركته كافياً لصوغ المعاني التي أريدها».

واضح تأثر العربي بالشعر في كتاباته السردية حتى اليوم. معظم الروائيين يهتمون بإيقاع الجملة النثرية، التي يجب أن تأخذ من الشعر تناغمه الموسيقي. إن كانت جمل شدياق شعرية، فذلك لأن شعور الكاتب أخذ منحى أكثر جمالا مع الشعر، وإيصال هذا الشعور كان مهماً بالنسبة لكاتب نازح، أرغم على ترك لبنان بعد اعتناقه البروتستانية وقتل شقيقه سعد شدياق. عاش شدياق بين بلدان عدة كالبيكارو، أو الشطاري المهمش عن مجتمعه، وهو يروي نظرته للمجتمع، فتغيرت أفكاره حول قضايا عدة وهو يكتب، كالسياسة، والمرأة والغرب والشعر والدين ليعتنق الإسلام فيما بعد، ويقضي نحبه عام 1887في اسطنبول، ونقل رفاته الى جبل لبنان. لم يعد الى بلده خالي الوفاض، بل بإرث أدبي كبير لا ينضب.

بناء المعرفة

رشيد الخديري

المعرفة تطور وسيرورة واستقصاء وبناؤها يَتَطَلّبُ أفقاً زمنياً يتخطّى الكائن إلى ما هو ممكن.
إن بناء المعرفة الموضوعيّة رهان حتميّ وبحث دائم وقلق متوثّب بين العوالم المغلقة والمفتوحة في الآن نفسه، وفي عالم كهذا مأخوذ برياح التغيير وقوّة التّحول ودبيب العَولمة، في حاجة اليوم، إلى وقفة تأمّل وقفزات للتجاوز وولادات إبستيمية أخرى.

لنقل، إن المعرفة بما هي أفق وسيرورة ومخاض، لا تكتمل إلى في تماسها والتحامها مع عالم، ومع الكائن الإنسانيّ، ولا بد لهذه التضايفات أن تكون قابلة للإنتاج والديمومة، وما بين القوّة والفعل، تتجسّد هذه الرّغبة الملحة في التّحرر من إسار الذاتيّة المسكونة بالدوكسا والذرائعيّة والإيديولوجيات. لا معنى لمعرفة ما لم تتخلّق في الفضاء الهائل والمهيب الممتد خارج حواضن الأدلوجة، وفي تصوريّ، تبقى المعرفة مجهضة مبتسرة إن بقيت معلنة ومتأزرة بأشرطة الحضور في الصوت الواحد، حيث الاحتفاء بتذويت الخطاب وتحصين المرجع من أيّ اختراقات.

ثمة مياه كثيرة تجري في نهر المعرفة، ولا أحد يمكنه الإدعاء أنّه يمتلكها أو يَتَمَلّكُهَا، فهي في حضورها الهادر، الرهيب تأبى التّموضع في أفق معيّن، وفي زمن معيّن، ذلك أن اليقين في المعرفة، يبدو أمرا صعبا، بل أمراً مستحيلا، لأن الأفق المعرفي الآن متجدد، مفتوح على إنتاج رؤى جديدة وتكتّلات جديدة. معنى ذلك: أن المعرفة لا تتقيّد بالإقامة في عالم محدد، ولا تطمئن للمسكوك والجاهز، وإنما هي «ثورة» على المعرفة ذاتها ونزوعٌ نحو استقصاء الذاكرة القرائية ومساءلتها ، ومن ثم، التّعمق في مدارات الذّاكرة الكونيّة، والانتقال إلى بناء الوجود بشكل عام. إن الاندفاع نحو عالم المعرفة هو تأكيد على السيرروة والتّحَرر من الزمن الفيزيائي، نحو بناء زمنها الانبثاقي الخاص: لحظة الولادة وما تنطوي عليه من قلق وجوديّ وغبطة الوجع، السير نحو مجاهل الكتابة وهندَسة الذاكرة الكونيّة، تلك هي مضايق المعرفة، سواء ذاتية أم موضوعية، وسواء أكانت بالفعل أم بالقوة. ومن المهم فقط، أن تظلّ واقعة في صميم التفكير الإنساني، في حميميتها مع الزمن والأشياء والخط الزمنيّ، وفي عُبوراتها في الراهن والتّرصد والتّوقعات.

امتلاك المعرفة يعني امتلاك الوجود، وما يعنيه من ديمومة وتقاسم الحضور والغياب: إن المعرفة العربيّة تتدثّر بمعايير التسارع والارتجاج، وفي أوج عطائها ظلّت مسكونة بالهشاشة والتّصدعات، وهي إلى حدّ ما ظلت مرتهنة في أفقها الزّمني إلى الالتحام بالحياة الإنسانية، وفي علاقة الإنسان بعالمه القريب منه على وجه الخصوص، تصوُّراً ورؤية، حضوراً وغياباً، قوّةً وفعلاً، ومن الممكن -في هذا السياق- العودة إلى تاريخ المعرفة في أقوى لحظاتها، سواء من خلال النصوص أو الفضاء الفكريّ، سنجد أن ثمة صراعاً ضارياً بين قوى الفكر إلى درجة دخول هذه المعرفة في دهاليز داجية وانغمارها في أفاق مجهولة، وهو ما انعكس على سيرورة المعرفة واتهامها بالقصور والعجز والقطيعة.

غير أن هذه الاختلالات لا تُقلّل من قيمة المعرفة وبنائها على المستوى العربي، بل هي دعامة أساسية من دعامات تجديد الفكر العربي وفق قوانين الكونية، بعيداً عن التقليد الأعمى ووهم الأسبقية والقطيعة مع ما قيل وما كُتب وما تم التنظير له على منذ إشراقة المعرفية العربيّة، فالأساس في أي معرفة هو التّغيير، وما نتقصد ها هنا، بالتّغيير ليس طريقة التعبير أو آلية التفكير، وإنما، إعادة النظر في مفهوم التغيير نفسه، فمن شأن هذه المراجعة أن تؤالف بين البعيد والقريب، وبين الحاضر والغائب، وبين القطيعة والاستمرارية، كذلك، العمل على استثارة الذاكرة القرائية واكتشاف مدى قدرة الإنسان على التّغير والتغيير في الآن ذاته.

تنمحي المعرفة بانمحاء المرجعية، ذلك أن سؤال المرجع قمينٌ بأن يُلهم هذه المعرفة، يوسّعها ويلتحم بها على أوسع نطاق، ولا معرفة بدون مرجعية أو مرجعيات، فهي بمثابة الزّادً وعُمدة وأساس كل معرفة، خصوصاً، إذ كان الأمر يتعلّق بممارسة نقدية فاعلة ومنتجة. إن الأمر أشبه بذاكرة توثّقُ كل شيء، أو ملاذا آمنًا وآنيا لتخزين المقروء وشغب السؤال وقلق الوجود، فكل كتابة أو معرفة أو فعل إبداعي، سيظل غير مكتمل إذا افتقر إلى شرط وجوده وديمومته وشغبه.

ليست هناك إذن فجوات بين المعرفة وشرط وجودها، وليست هناك معرفة مكتملة ومتقايسة، فكل معرفة تحتاج إلى معرفة، حتى صرنا نتحدث عن مجموعة من المعارف، تبقى فقط عملية البناء والترتيق والموازنة. في حقيقة الأمر، لا أزعم أني أمتلك الجواب عن هذا السؤال، فالمعرفة – قبل كل شيء– هي سؤال. مجموعة من الأسئلة التي تموج وتعوم في نهر من الأسئلة الأخرى، ومن ثم، تكون المعرفة تنافذ مستمر وتضايف محتملين رؤى وتصورات، أو ما يمكن أن نسميه بـ»الذاكرة الحيّة» على غرار «المرجعية الحيّة» وكلاهما ينشغلان ويشتغلان في الأفق ذاته كنوعٍ من «التربية» على الإبداع والكتابة والاحتراق.

تلك هي بعض الاستقصاءات في بناء المعرفة، ولا شك أنها استقصاءات تُعبّر عن رؤية خاصة، ومعرفة خاصة ومرجعية أيضا خاصة، بإمكانها تحرير الذاكرة من رحلة التيه والبحث في مضايق المعرفة. إن ما ينبغي التأكيد عليه ها هنا، أن محاولة بناء المعرفة هو إقدار على مساءلة الذاكرة ومعرفة أسرار العملية الإبداعية، مما هو خليق بأن يوقظ جذوة الكتابة وشغب الإبداع.

التقدمي

التقدمي العدد 163 ـ يونيو 2021 السنة التاسعة عشر SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

عيدٌ بـــلا وجـــه

عبدالحميد القائد

عِيدٌ يَأتِي في قِطارٍ مَحروقِ
هَربت سِكَكُهُ الحديديةُ إلى بُقعةٍ مجهولةٍ
وَأنا على شِفتي تنبتُ وردةً يابِسةً
يتحوّلُ القلبُ بيداءَ لا يَروي جنونَ العَاشِقين
يتمردُ جَسدي يُطلقني لِرياحٍ مُفلسةٍ
فَأَضيعُ في مَهاوِي الوَهمِ
لا أَسقُطُ
لا أَهوي
أَقفُ على صَفيحٍ مُلتهِبٍ
لا أكادُ أمسكُ بأَعوادِ النارِ وهِي تُشعِلني
أشتعلُ مِثل سِيجارةٍ وأنطفِئُ
وَأَصحُو على أَملٍ يُشبِهُ فُقاعاتِ الصابونِ
الجهاتُ باعَتْني لِلمَجَرَّاتِ
التي تَتَهَاوَى فيها الروحُ وَحيدةً
لَم أَبِع حَرفي لِلأُنْسِ أو الجِنِّ
باعُوني لِلعُزلةِ لِتَكوِيَ أَصَابِعِي وهي تَكتُبُ
فَتَخرجُ نُصُوصِي سَاخنةً تحرقُ وجهي
تَصفَعُ وُجوهَ قاتلي الحريةِ
وهم يتكاثرونَ كالنملِ لِيلعنوا رُؤايَ
وحُلُمي النابتِ وسطَ الصحارِي القَاحِلةِ
هل أنا الذي كنتُ أَمْتَطِي ذاك الفرسَ الحرونَ
وهو يَعدُو على تلكَ السفوحِ
التي كانت تغنِّي للقَادمينَ الذين لم يَأتُوا

هل كنتُ أنا مَن أَدمنَ أحلامَ اليَقظَةِ
وهي تَمتدُّ لِتَتَواصلَ مع أحلامِ النومِ
خرافةٌ كان حُلُمي
وهوَ يَتحوّلُ سَديمًا بِلا قَمرٍ أو نُجوم
أنا الذي تَبيعُني المعشُوقاتُ للشَياطِينِ
وللطُرقاتِ الهاربةِ من أَسْفَلْتِها
أنا الذي كنتُ القادمَ وتكسّرت عَرباتِي
في صَقيعِ المسالِكِ
أنا الذي كنتُ، ولم أَكُن
أنا العيدُ المُفْرَغُ مِن الهَدايا
أنا المَرايَا
وهي تَتَهَشَّمُ إذا رَأَت سُحنَتِي
فَفي المَرايَا حَكايَا وَبَغَايَا
فَيَا أَيُّها العيدُ القادمُ بِلا عِيدٍ
عُدْ أَدراجَكَ فَمَا عَادَ على هذا الأديمِ
مَن يُحسِنُ البَهجَة
مَشغولونَ باعادةِ الفجيعة الى صدورِ الأعداء

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com